الحياة... كما لم ترها من قبل



> بعضُ النِّعم اعتدنا وجودها،
> فظننّا أنها من حقّنا،
> بينما هي في الحقيقة هبةٌ من
> الله...

نور الهدى

الحياة... كما لم ترها من قبل

إلى كل قلبٍ متعب،إلى من فقد لذة الحياة
ومالذتهاً إلا بالنعم التي تحيط بنا...
إلى من يبحث عن الطمأنينة في زحمة الحياة،
إلى من يريد أن يرى الجمال في التفاصيل
الصغيرة...
إلى من يريد أن يرى الحياة على حقيقتها...
هذا الكتاب لك.

نور الهدى....

المقدمة

هذا الكتاب رسالة حب، ليس حبّ البشر للبشر، بل حبّ الله لعباده. حبّ يتجلّى في كل تفصيلة صغيرة من حولنا، في أشياء نظنها عادية، لكنها في الحقيقة آيات رحمة تمشي على الأرض.
الله لم يخلقنا ثم يتركنا، بل أحاطنا بلطفه من كل الجهات، نوّع لنا النعم، وزيّن لنا الحياة، وجعل في كل يوم دليلًا على عنايته بنا.
قال الله تعالى:﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾.
خلق لنا السماء سقفًا آمنًا، والأرض مهدًا واسعًا، وسخّر لنا ما في الكون جميعًا.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾.

خلق لنا القطط لتؤنس وحدتنا، والعصافير لتجمّل صباحاتنا بزقزقتها، والأشجار الخضراء لنرتاح حين نستظل بها، ونتنفس حين ننظر إليها. جعل في اللون الأخضر طمأنينة، وفي صوت الطيور بهجة، وفي دفء الحيوان الصغير رحمة.

خلق لنا الماء لنرتوي، والهواء لنحيا، والنور لنبصر الطريق. حتى التفاصيل التي لا نلتفت إليها، هي رسائل حب صامتة من الله.
وحين نتعب، جعل لنا الصلاة ملجأ، والقرآن سكينة، والذكر طيبًا للسان والقلب.قال تعالى:﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب ﴾..

هذا الكتاب دعوة للتوقف قليلًا، لننظر للحياة بعين مختلفة، أن نرى النعمة قبل أن تزول، ونشكر قبل أن ننسى. دعوة لأن نبطئ خطواتنا، ونصغي لصوت قلوبنا، ونحتضن اللحظة كما هي.
ربما لن تجد هنا فلسفة معقّدة، ولا كلمات كبيرة، لكنك ستجد حياة. ستجد ضوء الصباح، ونسمة الهواء، وزقزقة العصافير، وبراءة الأطفال، وهدوء الليل، وسكينة السجود.
ستجد أشياء بسيطة، لكنها عميقة. لأن الحياة... حين ننظر إليها بقلب حاضر، تصبح أجمل مما تخيلنا.

توقّف... أنت تركض كثيرًا !!

نركض كل يوم دون أن نشعر. نركض خلف المواعيد، خلف الرسائل، خلف المسؤوليات، خلف القيل والقال، خلف المستقبل. نستيقظ على صوت المنبّه، وننام على ضوء الهاتف، وبينهما تمضي ساعات طويلة لا نعرف أين ذهبت. صارت أيامنا متشابهة، وقلوبنا متعبة، وأذهاننا ممتلئة بالضجيج.

صرنا نعيش بسرعة، وكأن الحياة سباق، لا رحلة. نمسك الهاتف قبل أن نمسك أنفاسنا، نفتح التطبيقات قبل أن نفتح النوافذ، نقرأ الأخبار قبل أن ننظر إلى السماء. نعرف تفاصيل حياة الآخرين، وننسى تفاصيل قلوبنا. تمرّ بنا النعم، ولا نتوقف عندها، لأننا مستعجلون دائمًا.

لكن الحياة لا تُرى من نافذة السرعة.
أحيانًا تحتاج فقط أن تتوقف. أن تجلس دقيقة بصمت. أن تأخذ نفسًا عميقًا. أن تنظر حولك. أن تسأل نفسك: متى آخر مرة شعرتُ حقًا باللحظة؟

الله لم يخلق هذا الكون على عجل، يضع في أيامنا هذا الكم من الجمال عبثًا. خلق الضوء لنتأمله، والهواء لنشعر به، والأصوات لنصغي لها، والقلوب لنأنس بها.

قال الله تعالى:
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾
الليل والنهار يتعاقبان ليذكّراننا، لا ليمرّا علينا مرور العابرين.

التوقف ليس كسلًا، بل وعي. ليس هروبًا من المسؤولية، بل عودة إلى النفس. التوقف يعني أن تعيش بدل أن تستهلك الأيام. أن تسمع قلبك وسط الضجيج. أن ترى معية الله في التفاصيل الصغيرة.
جرّب يومًا أن تبتعد قليلًا عن الشاشة، أن تخرج دون سماعات، أن تمشي ببطء، أن ترفع رأسك نحو السماء.
ستكتشف أن العالم ما زال جميلًا، لكنك كنت تنظر إليه وأنت تركض.

هذا الكتاب لا يدعوك إلى ترك حياتك، بل إلى أن تعود إليها. لا يطلب منك أن تغيّر كل شيء، بل أن تغيّر طريقة النظر. أن تمنح اللحظة حقها، وأن ترى النعمة قبل أن تعتادها.

توقّف قليلًا...
أنت لا تحتاج أن تسرع أكثر...
أنت تحتاج أن تشعر أكثر...
ومن هنا تبدأ الحكاية...

«حين تتوقف عن الركض،
لا تظن أنك تأخرت عن الحياة،
بل أخيرًا وصلت إليها.
هناك فقط...
تسمع قلبك،
وترى النعمة،
ويبدأ الصباح من داخلك قبل أن
يشرق في السماء.»

ضوء الصباح والفجر... بداية الحياة والنعم

الصباح... كل صباح هو معجزة جديدة يرسلها الله إلينا. حين يشرق الضوء الأول، يبدو العالم وكأنه يفتح عينيه ببطء، يزهو بألوانه ويهمس لنا بأن الحياة بدأت من جديد. كل شعاع شمس، كل لون وردة يتكشف، كل ورقة شجرة تتلألأ، هو رسالة حب صامتة من الله لكل من يفتح قلبه.

هل توقفت يومًا لتنظر إلى ضوء الفجر؟ كيف يتسلل بين النوافذ، يلامس وجهك برفق، يهمس لك بلطف: استيقظ... العالم بخير، والفرصة أمامك. هذا الضوء ليس مجرد طاقة، بل نعمة... نعمة تنعش الروح والقلب.
يوقظ فينا الامتنان، ويذكرنا بأن الله لم يتركنا بلا بداية، بل جعل لكل يوم إشراقته الخاصة، وللفجر سحره الذي لا يعادله شيء.

مع الضوء، يأتي نسيم الصباح. تلك النسمة الرقيقة التي تعانق وجوهنا، تحمل معها رائحة الأرض بعد ندى الصباح، ورائحة الزهور المتفتحة، وربما عبق المطر إن كان قد سبق. الهواء في الصباح ليس عبثًا؛ هو محمل بنعمة الحياة، طاقة تجدد الجسد، وراحة تلمس القلب. أحيانًا، حين تقف لحظة وتتنفس بعمق، تشعر أن هذا الهواء يحمل شيئًا خاصًا... شيئًا لا يمكن وصفه، ولكنه يُشعر بالسلام، بالطمأنينة، وبقرب الله.

وفي هذا الوقت من اليوم، حين يكون العالم هادئًا، تبدأ زقزقة العصافير. كل تغريدة، كل صوت، كل تفاعل بينها وبين بعضها ومع محيطها، هو سيمفونية صغيرة تملأ القلب فرحًا.

وكم هو رائع أن نعلم أن الله خلق لكل طائر صوته الخاص، ولكل كائن حياته الخاصة، وكلها تتناغم بطريقة تبعث في النفس السرور، وكأن الكون بأكمله يحتفل ببداية يوم جديد.
أما أول المؤمنين فينهضون للصلاة.

صلاة الفجر... يا لها من نعمة! ليس فقط لأنها واجب، بل لأنها فرصة للتواصل مع الله قبل أن يملأ العالم ضجيجه.

حين يسجد العبد في أول النهار، يشعر أن قلبه ينفتح، وأن الله قريب، يسمع دعاءه، ويبارك خطواته القادمة. الشوارع لا تزال فارغة، إلا من بعض الرجال الذين يسيرون إلى المساجد، فيملأ الجو رائحة المسك من المصلين، رائحة تشبه الرحمة وتنعش الروح قبل أن تبدأ ساعات العمل والواجبات.

حين تجلس لحظة بعد الفجر، أو تتأمل المشهد من نافذتك، ترى النعم حولك: الأشجار تتلألأ بندى الصباح، الأزهار تتفتح، الطيور تطير، وكل شيء يحيا بإذن الله. وتفكر في نفسك... كم نحن ممتنون لله على نعمة اليقظة، على نعمة العقل، على نعمة القلب، على نعمة أن نرى، أن نسمع، أن نتنفس، أن نحس ونشعر.

كل شيء بسيط، لكنه عميق، وكل لحظة تمر، هي فرصة لنشكر الله، لنقربه إلى قلوبنا، لنستشعر الهداية في تفاصيل حياتنا.

الضوء والفجر يعلّمنا درسًا هامًا: أن الحياة تبدأ من جديد كل يوم، وأن النعم تتجدد معنا إذا أردنا أن نراها.

هناك من ينام ولا يشعر بهذا الصباح، وهناك من لا يستطيع رؤية الضوء، وهناك من فقد نعمة الصحة ليحس بقيمة هذا الضوء. لهذا السبب، علينا أن نكون شاكرين، أن نعي النعم، أن نصغي للطبيعة، أن نرى الله في كل شيء.

فلنجلس لحظة مع ضوء الصباح، نستمع للنسيم، للطيور، لنرى الزهور والأشجار، لنشم عبق الأرض بعد الندى، ولنشعر بطمأنينة الروح. فلنصلِّ، ولنذكر، ولننطلق إلى يومنا ونحن مملوئون بالحياة، ونحن نحمل في قلوبنا نعمة اليقظة، نعمة الضوء، نعمة الفجر... نعمة الله التي لا تُحصى.

وهكذا يصبح الصباح ليس مجرد بداية يوم، بل بداية قلب، بداية روح، بداية تأمل وحياة حقيقية.

«النعمة ليست في رؤية الشمس
فقط،
بل في القدرة على تمييز جمالها،
والشكر على كل نفس نأخذه معها.»

نسمة الصباح

نستنشق الهواء آلاف المرات كل يوم دون أن ننتبه. يدخل صدورنا في هدوءٍ عجيب، ويغادرها بلا صوت، وكأن رحمة خفية تمرّ بنا مرارًا ونحن لا نشعر. لا نراه، ولا نمسكه بأيدينا، ومع ذلك تقوم عليه حياتنا كلها. ولو انقطع لحظة واحدة فقط، لأدرك الإنسان كم كان يعيش داخل نعمة عظيمة لم يلتفت إليها.

هذا الهواء ليس فراغًا كما نظن، بل عطاء متواصل من الله، يجري حولنا بلا مقابل، وبلا انقطاع. جعله الله سببًا للحياة، وسكنًا للأنفاس، ولطفًا يلامس أجسادنا وأرواحنا معًا ، فكانت بداية الحياة نفخة، وما تزال حياتنا كلها قائمة على نفخات متتابعة لا نشعر بها إلا حين تضيق صدورنا.

حين يولد الإنسان، أول ما يفعله أن يتنفس... وحين يرحل، آخر ما يتركه نفسٌ يغادر صدره. وبين النفس الأول والأخير قصة عمرٍ كامل، تقوم على هذا السرّ البسيط الذي نغفل عنه.

وأحيانًا، حين يهدأ القلب بعد قلق طويل، يشعر الإنسان أن للهواء طعمًا مختلفًا. كأن النسمة تحمل رسالة خفية لا تُسمع، لكنها تُفهم. يدخل النفس عميقًا في الصدر، فيشعر المرء أن شيئًا داخله قد انشرح، وكأن همًّا ثقيلاً ذاب دون سبب واضح. عندها فقط يدرك أن الطمأنينة ليست دائمًا كلمات، بل قد تكون نفسًا هادئًا يمنحه الله لعبده.

الرياح التي تمرّ بنا ليست عبثًا، فهي جنود من جنود الرحمة، يرسلها الله لتوقظ الأرض بعد سكونها، ولتذكّر الإنسان أن بعد السكون حركة، وبعد الضيق سعة. ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾، وكما تحيي المطرات الأرض اليابسة، تحيي لحظات الصفاء القلوب المتعبة.

كم مرة خرجنا إلى مكانٍ مفتوح فقط لنستنشق بعمق؟ دون أن نعرف لماذا نشعر براحة مفاجئة. نرفع وجوهنا نحو السماء، نغمض أعيننا، ونترك الهواء يمرّ في صدورنا ببطء... فنشعر وكأن العالم صار أخفّ، وكأن الروح استعادت شيئًا فقدته وسط ضجيج الأيام.

في تلك اللحظات، لا يحتاج الإنسان إلى كثير كلام. يكفيه نفسٌ هادئ، وصمتٌ واسع، وشعور خفي بأن الله قريب. فالقرب من الله لا يكون دائمًا بالأصوات العالية، بل أحيانًا بسكونٍ عميق يشعر فيه القلب أنه محفوظ بعناية لا تُرى.

الهواء يمرّ على الغني والفقير، على الحزين والمطمئن، دون تفرقة. نعمة عادلة تشمل الجميع، تذكّرنا أن رحمة الله أوسع من حدودنا الضيقة. ومع ذلك، نعتادها حتى نظنها أمرًا عاديًا، وننسى أنها لو حُجبت عنا لحظة، لتوقفت كل خططنا وأحلامنا.

ربما لهذا يعلّمنا الهواء درسًا خفيًا: أن أعظم النعم ليست تلك التي نبحث عنها بعيدًا، بل التي ترافقنا كل لحظة. وأن ما اعتدناه قد يكون معجزة يومية تتكرر بصمت. كل شهيق هدية، وكل زفير فرصة جديدة.

> {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}
>
> حيث شبّه انتشار ضوء الصبح وتجدد الحياة بالنفس، دلالة على الإنفراج، الحرية، وحيوية الوجود. كما تعدّ آيات الهواء وتسخيره نعمًا تستوجب الشكر.

زقزقة العصافير

زقزقة العصافير من تلك النعم التي تدخل القلب دون استئذان. أصوات صغيرة، لكنها تصنع بهجة كبيرة. الله خلق تنوّعًا عجيبًا في الطيور: أشكالًا، وألوانًا، وأصواتًا، في تناسق مذهل للتنوع البيولوجي، كأن كل طائر يحمل نغمة خاصة في سيمفونية الحياة.

العصافير ليست زينة للصباح فقط، بل تذكير دائم بأن الفرح يمكن أن يكون بسيطًا. طائر الحسون مثلًا، يألف صاحبه، وإذا رآه طار فرحًا مزقزقًا، كأنه يعبّر عن محبته بطريقته الصغيرة.

جرّب يومًا أن تبتعد عن ضجيج الحياة. اجلس في مكان هادئ، وأصغِ فقط لصوت العصافير. انتبه لها في يومك. ستشعرُ أن شيئًا في داخلك يبتسم.

هذه نعمة حقيقية. تدخل البهجة إلى القلوب دون مقابل. تذكّرنا أن الله لم يخلق هذا الجمال عبثًا، بل ليؤنسنا، ويخفف عنّا ثقل الأيام.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكُّله ؛ لرزقكم كما يرزق الطيرَ : تغدوا خماصًا وتروح بطانًا .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾

حين تتعب الأرض تحت أقدامنا، يكفي أن نرفع رؤوسنا قليلًا... لنرى درس الطمأنينة مكتوبًا في جناح طائر؛ لا يحمل همَّ الطريق، لأنه يعلم أن من رفعه إلى السماء لن يتركه يسقط.

العائلة... نعمة لا يشعر بها إلا من فقدها

نولد في عائلة قبل أن نعرف معنى الحياة. نفتح أعيننا فنجد وجوهًا حولنا، أصواتًا تنادينا بأسمائنا، وأيدٍ تمتد لتحتضننا. نكبر وسط هذا الدفء دون أن نسأل: من أين جاء؟ وكأن وجود العائلة أمر طبيعي يحدث مع الجميع. لكن الحقيقة أن العائلة نعمة عظيمة، وليست أمرًا عاديًا.

العائلة هي أول وطن، وأول مدرسة، وأول مكان نشعر فيه بالأمان. فيها نتعلم الكلام، والمشي، والحب، والاعتماد على النفس. فيها نخطئ فنُسامَح، ونتعب فنُحتضَن، ونفرح فيفرحون معنا. هي المكان الذي نستطيع أن نكون فيه على حقيقتنا دون تكلّف.

وحين تكون العائلة بخير، تصبح بقية مشاكل الحياة أهون. قد نختلف، وقد نغضب، وقد ترتفع الأصوات أحيانًا، لكن وجودهم في حياتنا يجعل كل شيء أقل قسوة. وجود أم تدعو لك، أو أب يسأل عن يومك، أو أخ يشاركك همّك، أو أخت تشعر بك... كل ذلك يخفف ثقل الدنيا.

كم من إنسان لا يعرف شكل أمه، لأنها ماتت وهو رضيع. وكم من طفل كبر دون أن ينادي أحدًا "أبي"، لأن أباه توفي وهو في شهره الأول أو الثاني. وكم من قلب انكسر يوم فقد إخوته في حادث، وبقي يتمنى لو عاد الزمن دقيقة واحدة ليضمهم.

الأم قد تتعب في الكلام، لكنها لا تتعب في الدعاء.
الأب قد يبدو صامتًا، لكنه يحمل الأسرة كلها على كتفيه.

الإخوة قد يتشاجرون، لكنهم أول من يقف عند الشدة.

العائلة نعمة لا تُقاس بالكمال، بل بالوجود.
وجودهم في حياتنا هو الرحمة. هو السند. هو الشعور بأن هناك من ينتمي إليك مهما حصل.
فلنشكر الله على من ما زالوا معنا. على أم توقظنا للصلاة، على أب يعمل من أجلنا، على إخوة يملؤون البيت ضجيجًا وحياة. ولنصل أرحامنا قبل أن تصبح الزيارات ذكريات، وقبل أن تتحول الأسماء في الهاتف إلى صور على الجدران.

لنقل لهم إننا نحبهم. لنعتذر إن أخطأنا. لنبدأ نحن بالخير.

فالعائلة ليست شيئًا يحدث مع كل الناس...
العائلة نعمة.

والحمد لله عليها، ما دامت القلوب تنبض، والأبواب ما زالت تُفتح، والأصوات ما زالت تنادينا بأسمائنا.

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ}.

"حين يأمر الله بشكره، يقرن الطريق
بقلبين كانا سبب وجودك."

الحيوانات... رفقة الأرض ودفء الحياة

ليست الحيوانات مجرد كائنات تعيش معنا على الأرض، ولا مجرد مخلوقات تمرّ في حياتنا مرورًا عابرًا. هي جزء من نسيج الحياة، وشركاء صامتون في رحلتنا على هذا الكوكب. خلقها الله لتؤنس الإنسان، وتخدمه، وتذكّره بلطف الخالق في أبسط الصور.

منذ القدم، والإنسان يعيش إلى جانب الحيوانات. يراها، ويرعاها، ويتعلم منها. بعضُها يرافقه في وحدته، وبعضُها يشاركه عمله، وبعضُها يمنحه غذاءه ودفأه. وكأن الله لم يشأ أن نكون وحدنا في هذه الأرض، فملأها بمخلوقات مختلفة، لكل واحدة دورها، ولكل واحدة جمالها الخاص.

هناك حيوانات تدخل القلوب دون استئذان. قطة صغيرة تقترب بهدوء، طائر يقف على النافذة، كلب ينتظر صاحبه بوفاء، أو حصان يشعر بك قبل أن تنطق. هذه الكائنات البسيطة تحمل مشاعر صادقة، لا تعرف التكلّف ولا الخداع. ألفتها طبيعية، وقربها مريح، وحضورها يخفف عن القلب ما يعجز البشر أحيانًا عن تخفيفه.

كم من شخص وجد في حيوان أليف صديقًا، وفي نظرة بريئة عزاءً، وفي حركة صغيرة سببًا للابتسام. الله وضع في قلوب بعض الحيوانات قدرة عجيبة على مواساة الإنسان، كأنها خُلقت لتقول لك: أنت لست وحدك.

لكن نعمة الحيوانات لا تقف عند الألفة فقط.
الله سخّر لنا منها ما نركب، وما نأكل، وما نلبس. أعطتنا اللبن، واللحم، والصوف، والجلود. أعطتنا القوة في الحقول، والصبر في الطرقات، والدفء في الليالي الباردة. كل شيء فيها منفعة، وكل جزء منها نعمة.

قال الله تعالى:
﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾
دفء... ومنافع... وطعام. ثلاث كلمات تختصر عطاءً عظيمًا. من جلودها نصنع ما يحمينا من البرد، ومن ألبانها نشرب، ومن لحومها نقتات، ومن صوفها نلبس. حتى مخلفاتها تتحول في الأرض إلى خير ونفع.

تأمل كيف أن بقرة هادئة تمنح الحليب كل يوم، دون أن تطلب شيئًا. كيف أن دجاجة صغيرة تضع البيض باستمرار. كيف أن نعجة صامتة تعطينا الصوف عامًا بعد عام. كلها تعمل في صمت، وتقدّم دون شكوى، كأنها خلقت لتكون جزءًا من رحمة الله على عباده.

والعجيب أن هذه الحيوانات، رغم قوتها أحيانًا، خاضعة للإنسان. طفل صغير يستطيع أن يقود قطيعًا، وإنسان بسيط يرعى أغنامًا أكبر منه حجمًا وقوة. هذا التسخير ليس صدفة، بل عناية إلهية.

قال تعالى:
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ﴾
ذلّلها له أي جعلها مطيعة، سهلة الانقياد، رحيمة بالإنسان.

ثم انظر إلى التنوع العجيب في الحيوانات. آلاف الأنواع، بأشكال وألوان وأحجام مختلفة. الكبير والصغير، السريع والبطيء، اللطيف والقوي. كل واحد منها يعيش وفق نظام دقيق، يأكل بطريقته، ويتحرك بطريقته، ويتكاثر بحكمة بالغة.

حتى أصواتها مختلفة، وطباعها مختلفة، وطرق تواصلها مختلفة. وكأن الله أراد أن يملأ الأرض بالحياة من كل لون، حتى لا يشعر الإنسان بالفراغ.
والأجمل أن الحيوانات تذكّرنا بالرحمة. حين نرى قطة تبحث عن دفء، أو طائرًا يبحث عن طعام، أو دابة عطشى، يتحرك في داخلنا شيء إنساني. نتعلم العطف، واللين، والمسؤولية. نتعلم أن الرحمة ليست للبشر فقط، بل لكل كائن حي.

وفي الإحسان إلى الحيوان أجر عظيم.
فالحيوانات ليست مجرد موارد نستهلكها، بل أرواح خلقها الله، تشعر وتتألم وتفرح بطريقتها. وكلما عاملناها بلطف، كنا أقرب لفهم معنى الرحمة الذي أراده الله في الأرض.
هي نعمة في غذائنا، ونعمة في لباسنا، ونعمة في معيشتنا، ونعمة في مشاعرنا.
فالحمد لله على الحيوانات، على ألفتها، وعلى عطائها، وعلى صمتها الجميل، وعلى كونها جزءًا من حياتنا اليومية دون أن ننتبه.
الحمد لله على هذه الرفقة الأرضية التي جعلها الله معنا... لنعيش الحياة أقل وحدة، وأكثر دفئًا.

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

"في صمتِ الأرضِ وحركةِ الأجنحةِ في السماء، تتجلّى حقيقةٌ تُهذّب القلب: لسنا وحدنا من يعرف الطريق إلى الله؛ فكلُّ روحٍ خلقها الله تسير في أمتها، محفوظةً بعلمه، عائدةً إليه كما نعود."

الجدران... نعمة لا ننتبه لها

قلّما نفكّر في الجدران. نمرّ بها كل يوم، نستند إليها، تستمع لنا بصمت، ونغلق خلفها أبوابنا، دون أن نتوقف لنسأل: ماذا لو لم تكن موجودة؟

الجدران ليست مجرد إسمنت وحجارة. هي ستر. هي أمان. هي حدود تفصل بين ضجيج الخارج وهدوء الداخل. هي المساحة الصغيرة التي نحتمي فيها حين تتعب أرواحنا.

في يوم من الأيام رأيت امرأة متعبة، اتكأت على جدار وأغمضت عينيها، ثم قالت بهدوء: الحمد لله. سألتها عمّا حدث، فابتسمت وقالت: هذا الجدار... نعمة كبيرة، يأوي ويحمي.
وقتها فقط فهمت.

الجدار الذي نستند إليه عند الإرهاق، هو نفسه الذي يمنع عنّا الريح في ليالي الشتاء. هو الذي يحبس البرد خلفه، ويحتفظ بالدفء داخل بيوتنا. هو الذي يحفظ خصوصيتنا، ويستر ضعفنا، ويخبّئ دموعنا حين لا نريد لأحد أن يراها.

كم مرة دخلنا بيوتنا بعد يوم طويل، وأغلقنا الباب خلفنا، وشعرنا بالراحة فورًا؟

ذلك الإحساس ليس عاديًا. هو شعور بالأمان. هو امتنان غير منطوق لجدران احتضنت تعبنا.

الله لم يجعل لنا مأوى عبثًا. خلق لنا البيوت لنهدأ فيها، لننام مطمئنين، ولنضع رؤوسنا على الوسائد ونحن نعلم أن هناك حدودًا تفصلنا عن قسوة العالم.
قال الله تعالى:{ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا }.
سكنًا... ليست كلمة بسيطة. السكن هو الطمأنينة، هو الاستقرار، هو أن يكون لك مكان تعود إليه مهما قست الأيام.

الجدران تحفظ أسرارنا. تسمع ضحكاتنا وبكاءنا، تشهد صلواتنا ودعواتنا، ترى لحظات قوتنا وضعفنا، ولا تفضحنا. هي الشاهد الصامت على حياتنا.

وفي ليالي البرد القارس، حين تهبّ الرياح في الخارج، وتضرب النوافذ بقوة، نشعر بقيمة هذه الجدران أكثر. نشرب شيئًا ساخنًا، نلتفّ بالغطاء، ونحمد الله أن بيننا وبين قسوة الشتاء حائطًا يحمي.حتى في الحر، تحفظ لنا الظل، وتخفف عنّا لهيب الشمس.

الجدران نعمة الستر.
نعمة الدفء.
نعمة الخصوصية.
نعمة الاستقرار.
لكننا اعتدنا عليها، فصرنا لا نراها.
كم من إنسان لا يملك جدارًا يأويه؟
كم من قلب يتمنى زاوية صغيرة آمنة؟
وكم من دعاء يرتفع كل ليلة فقط لأجل سقف؟
حين نفكّر بهذا، يتحوّل الجدار من شيء جامد إلى رحمة ملموسة.

ربما علينا أحيانًا أن نلمس الجدار
كما فعلت تلك المرأة، لا بيدنا فقط،
بل بقلوبنا. أن نشكر الله بصمت،
وأن نحمد الله على نعمة لم نطلبها،
لكنه منحنا إياها حبًا.
فالله لا يعتني بنا في الأمور الكبيرة
فقط، بل يحيطنا بلطفه في
التفاصيل الصغيرة... حتى في
الجدران.

الحواس الخمس... معجزة تسكن أجسادنا

نستيقظ كل يوم ونرى، ونسمع، ونلمس، ونتذوّق، ونشمّ... وكأن الأمر عادي. نفتح أعيننا فتدخل الدنيا دفعة واحدة، نسمع الأصوات من حولنا دون تفكير، نمد أيدينا فنشعر بالدفء والبرودة، نتذوّق طعامنا، ونشمّ روائح الصباح.
نفعل كل هذا دون أن نتوقف كثيرًا عند السؤال الأهم: كيف؟

الحواس الخمس ليست أمرًا بسيطًا. هي نظام دقيق بالغ الإتقان، معجزة حية تسكن أجسادنا، تعمل في صمت منذ لحظة ولادتنا، ولا تطلب منا شيئًا سوى أن نشكر.
البصر وحده عالم كامل من العظمة. العين ليست مجرد كرة صغيرة في الوجه، بل جهاز مذهل يفوق أدق العدسات في العالم. تلتقط الضوء، وتحلله، وترسله إلى الدماغ في أجزاء من الثانية، فنرى الصورة واضحة، متكاملة، نابضة بالحياة.
نرى الوجوه، والسماء، والأشجار، والطرقات، ونرى أدق التفاصيل دون أن نشعر بكل هذا العمل العظيم الذي يحدث خلف الكواليس.

نرى الألوان... وهذه نعمة لو تأملناها لبكينا شكرًا. كيف نميّز بين الأزرق والأخضر، وبين الأحمر والوردي، وبين درجات اللون الواحد؟ كيف نرى الغروب بلونه الذهبي، والسماء بزرقتها الهادئة، والنبات بخضرته التي تطمئن القلب؟ الله لم يخلق لنا عالمًا أبيض وأسود، بل زيّنه لنا بالألوان، كأنه أراد أن يقول لنا: أريد لحياتكم أن تكون جميلة.

ثم السمع... تلك القدرة العجيبة التي تجعلنا نسمع همسة طفل، وصوت الأذان، وزقزقة العصافير، وضحكة من نحب، وخطوات قادمة من بعيد. الأذن تلتقط الاهتزازات الدقيقة في الهواء، وتحولها إلى أصوات نفهمها ونشعر بها. ليس مجرد سماع، بل إحساس. هناك أصوات تطمئن القلب، وأخرى توقظه، وأخرى تعيد لنا الذكريات.

والشمّ... ذلك الباب السري للمشاعر. رائحة المطر، ورائحة القهوة، ورائحة التراب، ورائحة شخص نحبه. كم مرة أعادتنا رائحة واحدة إلى طفولتنا؟ كم مرة أشعلت فينا الحنين؟ الله وضع في أنوفنا قدرة عجيبة على تمييز آلاف الروائح المختلفة، وربطها بالذاكرة والعاطفة، كأن الروائح لغة خفية بين القلب والعالم.

أما التذوق، فهو نعمة لا تقل عظمة. كيف تفرّق ألسنتنا بين الحلو والمر والمالح والحامض؟ كيف نستمتع بطبق نحبه، ونشعر بالراحة عند أول لقمة؟ الطعام ليس مجرد وقود للجسد، بل متعة ورحمة. والله كان قادرًا أن يجعل كل الطعام بطعم واحد، لكنه نوّع النكهات، وجعل لكل فاكهة طعمها، ولكل وجبة إحساسها، رحمةً بنا.

ثم اللمس... ذلك الإحساس الذي يجعلنا نشعر بالدفء حين نمسك كوبًا ساخنًا، وبالبرودة حين يلامسنا الهواء، وبالطمأنينة حين نحتضن من نحب. الجلد مليء بملايين المستقبلات الدقيقة التي تنقل الإحساس إلى الدماغ في لحظة. بفضلها نشعر بالأمان، ونتجنب الأذى، ونعرف حدود أجسادنا.

قال الله تعالى:
﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
لعلّكم تشكرون... كأن الله يذكّرنا أن هذه الحواس ليست أمرًا مضمونًا، بل عطية تستحق الامتنان.

كم من إنسان فقد بصره، فيتمنى لو يرى السماء مرة أخرى. كم من إنسان فقد سمعه، فيشتاق لصوت أحبته. كم من مريض فقد الإحساس، فلم يعد يشعر بالدفء ولا بالألم.
عندها ندرك أن ما نملكه اليوم قد لا يكون موجودًا غدًا.
الحواس الخمس تجعلنا نعيش الحياة كاملة. بها نضحك، ونبكي، ونتعلم، ونتواصل، ونحب. بها نقرأ القرآن، ونسمع الأذان، ونرى السجود، ونشعر بخشوع الصلاة. هي جسور بيننا وبين عبادة الله، وبيننا وبين الجمال الذي بثّه في الأرض.

هذه الحواس تعمل بلا توقف، بلا شكوى، بلا مقابل. تؤدي وظيفتها بإتقان منذ سنين، ونحن نادرًا ما نقول: الحمد لله أنني أرى، الحمد لله أنني أسمع، الحمد لله أنني أشعر.
فكل نظرة نعمة، وكل صوت نعمة، وكل رائحة نعمة، وكل لقمة نعمة، وكل لمسة نعمة.
وحين نتوقف لحظة ونتأمل هذا كله، يمتلئ القلب حبًا وامتنانًا. ندرك أننا محاطون بعناية دقيقة، وأن الله لم يترك في أجسادنا شيئًا للصدفة، بل صمّم كل تفصيلة بحكمة ورحمة.
فالحمد لله على أعين تبصر، وآذان تسمع، وأنوف تشم، وألسنة تتذوق، وأجساد تشعر. الحمد لله على هذه المعجزة التي نحملها معنا في كل خطوة... دون أن ننتبه

{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}

خرج الإنسان إلى الدنيا خاليًا من المعرفة، لكن الله أودع فيه مفاتيح النور؛ سمعًا يهديه، وبصرًا يرشده، وقلبًا يعرف الطريق

النِّعم الجسدية... حين يتجلّى الإبداع الإلهي في الإنسان

نستيقظ كل يوم ونحرّك أيدينا، نمشي، نجلس، نقف، نلتفت، نبتسم، نتكلم... كل هذا يحدث بسهولة لدرجة أننا لا نفكر فيه. اعتدنا أجسادنا حتى صارت كأنها أمرٌ مفروغ منه، بينما هي في الحقيقة معجزة تمشي معنا في كل لحظة.

المفاصل وحدها آية.
في كل حركة بسيطة، تعمل عشرات العضلات، وتتعاون العظام، وتنسجم الأعصاب، ليتم فعل واحد صغير. حين ترفع كوب الماء، أو تمسك القلم، أو تربط حذاءك، هناك نظام دقيق يعمل بصمت. لا ضجيج، لا شكوى، فقط طاعة كاملة لأمر الله.
من الذي علّم الجسد هذا الانسجام؟

قال الله تعالى:
﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾
القلب ينبض دون أن نطلب منه.
الرئتان تتنفسان دون أن نذكّرهما.
الدم يجري في عروقنا في مسارات محددة،
والدماغ يرسل الإشارات في أجزاء من الثانية.
كل هذا يحدث ونحن نفكر في أشياء أخرى.
لو توقّفنا قليلًا وتأملنا، لأدركنا أن أجسادنا تعمل ليلًا ونهارًا من أجلنا، دون مقابل، ودون أن نراها.
ثم انظر إلى جمال الخلق.

الله لم يخلق البشر نسخًا متشابهة. رغم أن عددنا بالملايين، بل بالمليارات، لا يوجد وجه يشبه وجهًا تمامًا. لكل إنسان بصمته الخاصة، ملامحه، صوته، طريقته في الابتسام، حتى نظرته مختلفة.

قال تعالى:
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾.
في أحسن تقويم... أي في أجمل هيئة، وأكمل نظام.
هذا الجمال ليس فقط في الشكل، بل في الوظيفة، في التناسق، في القدرة على التفكير، في المشاعر، في الروح التي تسكن هذا الجسد.
اليد التي تمسح دمعة، نعمة.
القدم التي تمشي إلى المسجد، نعمة.
العين التي تقرأ القرآن، نعمة.
اللسان الذي يذكر الله، نعمة.

حتى التفاصيل الصغيرة التي لا نراها، مثل حركة الأمعاء، أو تنظيم الحرارة، أو شفاء الجروح، كلها تعمل بأمر الله، لتبقي هذا الجسد قائمًا.
كم مرة جُرحنا ثم التأم الجرح؟
كم مرة تعبنا ثم تعافينا؟
كم مرة مرضنا ثم عاد إلينا العافية؟

قال الله تعالى:
﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾
كأن الآية تنادينا: انظروا إلى أنفسكم... سترون الله.
لكننا غالبًا لا نشعر بقيمة الصحة إلا حين نفقدها، ولا ننتبه لقوة المفاصل إلا حين تؤلمنا، ولا نحمد الله على الحركة إلا حين تُقيَّد.

مع أن كل لحظة عافية هي نعمة مستقلة تستحق الحمد. الجسد أمانة. ليس ملكًا مطلقًا لنا. هو عطية من الله، ووسيلة لعبادته، وجسر نعبر به إلى الطاعات. به نسجد، وبه نصوم، وبه نعمل الخير، وبه نحمل القرآن بين أيدينا.

وحين نفهم هذا، يتغيّر تعاملنا مع أجسادنا. نصبح أرحم بها، وأشكر لها، وأكثر وعيًا بأنها ليست مجرد مادة، بل آية من آيات الله تمشي معنا.

ربما علينا أحيانًا أن نتوقف، ونضع يدنا على صدورنا، ونستمع لنبض قلوبنا، ثم نقول بصوت خافت:
الحمد لله.
الحمد لله على الجسد.
الحمد لله على الحركة.
الحمد لله على العافية.
الحمد لله على أن خلقنا، وصوّرنا، فأحسن صورنا.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

"حين يتأمل الإنسان خلقه... لا يملك إلا أن يهمس: تبارك الله أحسن الخالقين."

نعمة الهداية... القرآن والسنة نور الحياة

الهداية أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده. ليست فقط معرفة الطريق، بل الاطمئنان إلى أن خطواتك تحت مراقبته، وأن قلبك مُهدى إلى الحق. حين يستيقظ الإنسان على صباحه، قد يظن أنه يملك كل شيء، لكنه لو تأمل حقًا، سيدرك أن أعظم شيء يمتلكه هو أنه يُسير على طريق الله.

الله سبحانه وتعالى يقول:
﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾
والهداية ليست مجرد فكرة، بل حياة كاملة، رؤية صافية، شعور بالسكينة، وطمأنينة في القلب.

القرآن... يا له من كتاب! ليس مجرد كلمات على ورق، بل نبض حياة. حين تقرأه، ترى كل شيء من حولك بعيون مختلفة. ترى النعم، ترى الدروس، ترى نفسك كما هي، وتدرك رحمة الله التي تحيط بك من كل جانب.

قال الله تعالى:
﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ ﴾

والسنة النبوية... خير قدوة على الأرض. لم يترك الله عباده تائهين بين الأوامر والنواهي، بل أرسل رسولًا كريمًا يُرشدهم بحكمته ولطفه. كل حديث، كل فعل، كل موقف من النبي ﷺ يعلّمنا كيف نحيا. كيف نحب، كيف نغفر، كيف نعمل، وكيف نكون رحيمين وصادقين.

حين تُدرك هذا، تتغيّر حياتك. كل صلاة تصبح نعمة، كل سجدة هي راحة، كل ذكر يملأ القلب بهجة. القرآن يصبح صديقًا، السنة دليلًا، والدعاء هو صوت الروح إلى خالقها.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾.
فحين نقرأ، نتلو، ونتدبر، نحس الطمأنينة تسري في أعماقنا. كأن الله ينطق داخل قلوبنا، يذكرنا بأنه معنا، أنه لم يتركنا، وأن كل خطوة لنا محسوبة بعنايته ورحمته.
الهداية لا تقف عند مجرد معرفة الطريق، بل تشمل القدرة على التمييز بين الخير والشر، الحلال والحرام، النفع والضرر. من النعمة أن يميز الإنسان ما يفيده وما يضره، وأن يعرف حدود نفسه، وأن يرى الأمور كما أراد الله أن تُرى.

كم من إنسان محروم من هذه النعمة؟ من لا يستطيع إدراك الصواب من الخطأ، أو يحيد عن الطريق بلا وعي؟ كم من قلب ضائع، وكم من عقل مشوش، وكم من نفس لا تعرف أين تسير؟ المرض النفسي أو العقلي، مثل بعض حالات التوحد أو فقدان الإدراك، يذكرنا بعظمة النعمة: أن الله منحنا القدرة على الفهم والتمييز، والعقل الذي يوجّهنا، والقلب الذي يستشعر الحق.

الهداية تجعل حياتنا منظمة، تمنحنا الأمان، وتزرع فينا الثقة بأن هناك خطة، وأن خطواتنا ليست عشوائية. حين نعيش بالإيمان، نصبح قادرين على مواجهة الحياة، على معرفة الطريق، على التعامل مع الآخرين، على حسن الظن بالله، وعلى معرفة أن كل تجربة هي درس، وكل ابتلاء هو هداية.

قال الله تعالى:
﴿ وَلَقَدْ هَدَيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
أي أن الله يوجهنا ويثبت أقدامنا إن تمسكنا بكتابه وهديه.

الهداية أيضًا تجعلنا نقدر النعم الأخرى. حين نفهم أن حياتنا متوازنة، وأننا متمتعون بالعقل والصحة والقدرة على الفهم، نصبح شاكرين على كل التفاصيل الصغيرة: الهواء الذي نتنفسه، الماء الذي نشربه، الطعام الذي نأكله، العائلة التي حولنا. كل نعمة تتضح لنا بشكل أعمق عندما نعي نعمة الهداية.

لا شيء في الحياة يضاهي شعور الإنسان حين يكتشف أن الله لم يتركه بلا دليل، وأن كل خطوة له تحت مراقبته وحكمته، وأن كل فكر، وكل شعور، وكل عمل يمكن أن يكون وسيلة للاقتراب منه. حين ندرك هذا، يصبح القرآن ربيع القلب، والسنة مرشد الروح، والدعاء صلة يومية لا نستطيع الاستغناء عنها.

فالإنسان المسلم ليس فقط من يردد الأذكار، أو يصلي، أو يقرأ القرآن، بل هو من يحيا بالهداية. يعيش بروح مطمئنة، بعقل واعٍ، بقلب شاكر، وبالنية الصافية التي تقربه من الله في كل لحظة.

فلنشكر الله على نعمة الإسلام والهداية. فلنحافظ على كتابه وسنة نبيه ﷺ، ولنفتح قلوبنا لتدرك أن كل لحظة نعيشها هي فرصة لنقترب أكثر من الله، ونرى الحياة كما أرادها لنا: مليئة بالنور، بالحب، بالسلام، والطمأنينة.

"

الحياة بدون الهداية مثل سفينة بلا بوصلة... مليئة بالحركة، لكنها بلا اتجاه.
فلنتمسك بحبل الله، ولنترك قلبنا يُرشد، ولنستمد قوتنا من القرآن والسنة، ولنعيش في نعمة الهداية، نعمة لا يقدّرها إلا من عرف معنى الضياع قبل أن يجد الطريق.

"

الفطرة السليمة... النور الذي وُلد معنا

في أعماق كل إنسان شيء هادئ ونقي، شيء لا يحتاج إلى تعليم ولا إلى شرح طويل. شيء يعرف الخير حين يراه، وينفر من الظلم حتى لو لم يخبره أحد أنه ظلم. ذلك الشيء هو الفطرة؛ النور الصغير الذي وضعه الله في قلوبنا منذ اللحظة الأولى.

الفطرة ليست فكرة نتعلمها، بل حقيقة نولد بها. هي البوصلة التي تشير دائمًا نحو الحق، حتى لو ضاعت الطرق وكثرت الأصوات. قد تضعف أحيانًا، وقد يعلو فوقها غبار الحياة، لكنها لا تموت. تبقى هناك، تنتظر لحظة صدق يعود فيها الإنسان إلى نفسه.

ولهذا قال رسول الله ﷺ:
«كل مولود يولد على الفطرة».
فالفطرة تعني أن القلب خُلق مستعدًا لمعرفة الله، ومستعدًا لمحبة الخير، ومستعدًا للرحمة والعدل. ولهذا ترى الطفل الصغير حين يرى ظلمًا يبكي، وحين يرى رحمة يبتسم، دون أن يشرح له أحد معنى العدل أو معنى الرحمة.

إنها لغة القلب الأولى.
والإنسان، مهما ابتعد، يبقى في داخله حنين خفي إلى تلك الفطرة. حنين إلى الصفاء، إلى الطمأنينة، إلى الشعور بأن الحياة لها معنى أعمق من مجرد الأيام التي تمر.

ولهذا قال الله تعالى:
﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾
هذه الآية تذكير عظيم:
الفطرة ليست شيئًا اخترعه الإنسان، بل هي من خلق الله. هي البذرة التي وضعها الله في قلب كل إنسان، لتقوده إليه.
لكن مثل أي بذرة، تحتاج الفطرة إلى ما يحفظها.
فإذا عاش الإنسان في بيئة صادقة، وسمع كلامًا طيبًا، ورأى رحمة وعدلًا، كبرت الفطرة في قلبه، وأثمرت سلامًا وطمأنينة. أما إذا كثرت الضوضاء حوله، وامتلأت حياته بالقسوة والظلم، فقد تضعف تلك البذرة قليلًا.
لكن الجميل في الفطرة أنها لا تضيع تمامًا.
قد يمر الإنسان بسنوات طويلة من البعد والتعب والضياع، ثم في لحظة واحدة يعود إلى الله، فيشعر وكأنه عاد إلى بيته القديم. كأن قلبه يقول: أخيرًا... لقد عدت إلى ما كنت أعرفه في داخلي منذ البداية.
ذلك الشعور ليس جديدًا.
إنه الفطرة التي كانت تنتظر.
أحيانًا، تعود الفطرة عبر موقف بسيط:
آية تُقرأ في هدوء،
أذان يُسمع في فجرٍ ساكن،
دعاء يخرج من القلب في لحظة ضعف،
أو دمعة تسقط حين يشعر الإنسان بثقل الحياة.
في تلك اللحظات، لا يحتاج القلب إلى براهين طويلة.
يكفيه أن يشعر. لأن الفطرة تعرف الطريق.

ولعل أجمل ما في الفطرة أنها تجعل الإنسان قريبًا من الخير بطبيعته. فالإنسان بطبعه يحب الصدق، ويحب الرحمة، ويحب العدل. وحتى عندما يخطئ، يبقى في داخله صوت صغير يقول له: هذا ليس الطريق الصحيح. ذلك الصوت هو الفطرة.

ولذلك فإن العودة إلى الفطرة ليست رحلة بعيدة، بل هي في الحقيقة عودة إلى الذات الحقيقية. عودة إلى القلب حين يكون صافيًا، وإلى الروح حين تكون قريبة من خالقها.

وقد تمر الحياة بنا بأيام صاخبة، تمتلئ بالركض والقلق والتفكير الطويل. لكن ما إن يتوقف الإنسان لحظة، وينظر إلى السماء، أو يسمع القرآن في هدوء، حتى يشعر بشيء في داخله يهدأ.

كأن قلبه تذكّر شيئًا كان يعرفه منذ زمن.

الفطرة تشبه نافذة صغيرة في الروح.

حين تُفتح، يدخل النور.

وحين يعتني الإنسان بفطرته، يصبح قلبه أكثر صفاء. يرى النعم بوضوح، ويشعر بمعنى الحياة بطريقة أعمق. لا لأنه أصبح إنسانًا مختلفًا تمامًا، بل لأنه عاد إلى ما كان عليه منذ البداية.

إن الفطرة السليمة ليست كمالًا، بل بساطة نقية. قلب يعرف أن الله قريب، وأن الخير أجمل طريق، وأن الرحمة لا تضيع.

وحين يعيش الإنسان بفطرته، تصبح الحياة أخف. يهدأ القلق قليلًا، ويصبح القلب أكثر ثقة بأن الله يدبر كل شيء بحكمة.

ولذلك، كلما شعرت بثقل الحياة، عد قليلًا إلى فطرتك.
استمع إلى القرآن في هدوء.
انظر إلى السماء طويلًا.
تذكر نعم الله التي تحيط بك.
وتحدث مع الله كما يتحدث القلب الصادق.
ستكتشف حينها أن الطريق لم يكن بعيدًا كما ظننت.
لقد كان دائمًا قريبًا...
قريبًا من قلبك.
لأن الله خلق فينا نورًا صغيرًا يقودنا إليه.
نورًا اسمه الفطرة.

الستر واللباس... رحمة تُلامس الجسد والروح

نرتدي ملابسنا كل يوم دون أن نفكر كثيرًا في معناها. نختار ما يناسبنا، نبدّل الألوان، نغيّر الأشكال، ونمضي في يومنا وكأن الأمر بسيط. لكن الستر ليس أمرًا عاديًا، واللباس ليس مجرد قماش يغطي الجسد. هو نعمة عظيمة، ورحمة إلهية تمسّ الجسد وتحتضن الروح.

منذ بداية الخلق، كان الستر أول ما احتاجه الإنسان. حين أدرك آدم وحواء عليهما السلام سوءتهما، كان الشعور الفوري هو الحاجة إلى الغطاء. وكأن الفطرة البشرية خُلقت على حبّ الستر، وعلى الإحساس بالحياء، وعلى الرغبة في الحماية.

قال الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾
لباس يواري سوءاتكم... أي يستر ضعفكم، ويحفظ كرامتكم، ويصون أجسادكم. ثم قال: وريشًا... أي زينة وجمالًا. فالله لم يكتفِ بأن يسترنا، بل زيّننا أيضًا.

اللباس يحمي من الحر والبرد، من الشمس والرياح، من الخدوش والأذى. قطعة قماش بسيطة قد تكون حاجزًا بين الإنسان والمرض، بينه وبين التعب، بينه وبين قسوة الطبيعة. كم نحن ضعفاء لولا هذا الستر.

وفي الشتاء، حين يشتد البرد، وتلتف الأجساد في المعاطف، ندرك قيمة الدفء. وفي الصيف، حين تخف الملابس، نشعر بلطف النسيم على الجلد. كل فصل له لباسه، وكل حالة لها ما يناسبها، وكأن الله علّم الإنسان كيف يكيّف نفسه مع الحياة.

ثم انظر إلى تنوّع الألبسة في العالم. ثقافات مختلفة، ألوان مختلفة، أقمشة مختلفة. من الصوف والقطن والحرير، من الجلود والنباتات. كل ذلك سُخّر لنا، وكل ذلك خرج من الأرض أو من الحيوان، ليعود إلينا سترًا وراحة.

اللباس ليس فقط حماية للجسد، بل حماية للنفس أيضًا. حين نستر أجسادنا، نشعر بالأمان، بالكرامة، بالخصوصية. الستر يمنح الإنسان حدوده، ومساحته، واحترامه لنفسه وللآخرين.

وكم من إنسان لا يملك ما يستر به جسده كما ينبغي. كم من فقير يرتجف في البرد لأنه لا يملك معطفًا. كم من طفل يلبس ثيابًا رقيقة في ليالٍ قاسية. عندها نفهم أن كل قطعة لباس في خزائننا نعمةٌ، وأن كل قميص زائد هو فضل.

والأجمل أن الله ربط الستر بالتقوى. فجعل لباس الجسد نعمة، ولباس القلب أعظم. فكما نغطي أجسادنا بالقماش، نغطي أرواحنا بالطاعة، ونزيّن أخلاقنا بالحياء، ونحمي قلوبنا بالإيمان.

الستر ليس قماشًا فقط، بل أسلوب حياة. أن يستر الإنسان نفسه عن الحرام، وأن يستر غيره عن الفضيحة، وأن يحب الخير للناس كما يحبه لنفسه.

كل صباح نرتدي فيه ثيابنا هو فرصة جديدة للشكر. كل مرة نغلق فيها أزرار قميصنا، أو نلفّ وشاحًا حول أعناقنا، أو نلبس حذاءً يحمي أقدامنا، هي لحظة تستحق الحمد. فاللباس نعمة صامتة ترافقنا في كل خطوة. لا تصدر صوتًا، لا تطلب مقابلًا، لكنها تحيطنا بعناية دائمة.

فالحمد لله على الستر. الحمد لله على القماش الذي يحمينا، وعلى الألوان التي تبهجنا، وعلى الدفء الذي نشعر به، وعلى الكرامة التي يمنحنا إياها اللباس.

الحمد لله الذي لم يتركنا مكشوفين في هذا العالم، بل ألبسنا الرحمة قبل أن يلبسنا الثياب.

"اللباس ليس قماشًا يحيط بالجسد فقط، بل رحمةٌ
يحيط الله بها كرامة الإنسان."

النوم...ملاذ المتعبين

النوم ليس عادة يومية فقط، ولا استراحة عابرة بين يومين، النوم رحمة. هو الحضن الصامت الذي يأوي إليه الإنسان حين يثقله العالم، وهو الباب الذي نغلقه على ضجيج الحياة، فنفتحه على سكينة لا تشبه شيئًا آخر.

في آخر اليوم، بعد ساعات طويلة من التفكير والعمل والكلام والركض والتحمّل، يأتي النوم كهدية سماوية، كأن الله يقول لنا: كفاكم تعبًا، تعالوا ارتاحوا. نعود إلى بيوتنا مثقلين بما رأينا وسمعنا وشعرنا به؛ بعضنا يحمل همّ الرزق، وبعضنا تعب من الناس، وبعضنا أثقله الحزن، وبعضنا أنهكته التفاصيل الصغيرة.

ثم نصل إلى أسرّتنا. ذلك المكان البسيط: وسادة وغطاء وفراش، لكنه يحمل من الطمأنينة ما لا تحمله قصور. نضع رؤوسنا، فنشعر أن أجسادنا أخيرًا سمحت لنفسها أن تترك المقاومة. تسترخي العضلات التي ظلت مشدودة طوال النهار، ويهدأ العقل الذي ظل يركض بين الأفكار، وتسكن العينان اللتان رأتا ما يكفي.

النوم ليس انقطاعًا عن الحياة، بل إعادة ترميم لها. في النوم تُصلَح الخلايا، وتستعيد الأعصاب توازنها، ويرتاح القلب، ويُعاد ترتيب ما بعثره النهار داخلنا. حتى النفس البشرية، ذلك الجزء الحساس من الإنسان، تجد في النوم مساحة للشفاء.

كم من حزن خفّ بعد نوم، وكم من قلق صغر حجمه في الصباح، وكم من مشكلة بدت أهون حين استيقظنا عليها بقلب مرتاح.

الله جعل النوم آية من آياته، فقال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾.
أي راحةً وانقطاعًا عن التعب. كأن النوم قاطعٌ للآلام، وفاصلٌ بين موجتين من الحياة، واستراحة محارب قبل جولة جديدة.

والأجمل أن النوم لا يفرّق بين غني وفقير، ولا بين قوي وضعيف، ولا بين مشهور ومجهول. كلنا نحتاجه، وكلنا نضع رؤوسنا بالطريقة نفسها، ونغلق أعيننا بالطريقة نفسها، ونستسلم في تلك اللحظة ذاتها. في النوم مساواة عجيبة بين البشر.

وعندما يشتد التعب، يصبح السرير أعظم مكان في العالم. تلك اللحظة التي تمد فيها جسدك، وتسحب الغطاء عليك، وتتنفس بعمق، وتغمض عينيك... لحظة نقية، لحظة صدق مع النفس، لحظة تقول فيها بصمت: الحمد لله أن لي مكانًا أرتاح فيه.

وكم من إنسان لا يملك سريرًا، ولا غرفة هادئة، ولا وسادة ناعمة. وكم من مريض يتقلب من الألم، وكم من قَلِق لا يعرف طعم النوم، وكم من قلب مثقل لا يستطيع أن يهدأ. عندها نفهم أن النوم نعمة، وأن الراحة فضل، وأن القدرة على الاستسلام للنوم ليست أمرًا بديهيًا كما نظن.

ثم هناك جمال خاص في لحظة ما قبل النوم. حين تطفئ الأنوار، ويعمّ السكون، وتخف الأصوات، ويهدأ العالم من حولك. تلك اللحظات التي تراجع فيها يومك، وتتذكر ما حصل، وتسامح نفسك، وتسلم أمرك لله. كم هو جميل أن نختتم يومنا بذكر الله، بدعاء قصير، بحمدٍ صادق، بآية نرددها بهدوء.
النوم بعد الذكر ليس كأي نوم؛ هو نوم مطمئن، نوم محفوظ.

قال تعالى:﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾
كأن النوم موتٌ صغير، نُسلِّم فيه أرواحنا لخالقها، ثم يعيدها إلينا في الصباح رحمةً وفرصة جديدة.

كل صباح استيقاظ هو رسالة: ما زال لك وقت. وقت لتحب، وقت لتتوب، وقت لتعمل، وقت لتشكر.

النوم يعلّمنا شيئًا عظيمًا: أننا لسنا أقوياء دائمًا، وأن لأجسادنا حقًا، وأن التوقف ليس ضعفًا بل ضرورة. هو يذكّرنا أن الله لم يخلقنا لنبقى يقظين طوال الوقت، بل خلق فينا حاجة للراحة، كأنه يقول لنا: أنا أدرى بضعفكم.

فحين يأوي المتعب إلى فراشه، وحين يهرب المنهك من ضجيج العالم إلى هدوء الليل، وحين يغلق الإنسان عينيه بعد يوم طويل، تكون تلك لحظة عبادة صامتة. لأنك حين تنام، أنت تثق أن الله سيوقظك، وتسلّم أمرك له، وتعترف بحاجتك إليه.

“

النوم ليس هروبًا من الحياة، بل عودة إليها بشكل أنقى. هو ملاذ الذين أنهكتهم الحياة ، وملجأ القلوب المتعبة، ورحمة الله التي تتكرر كل ليلة دون أن نطلبها.

فالحمد لله على النوم، والحمد لله على الأسرّة، والحمد لله على الوسائد، والحمد لله على الراحة التي تأتينا في صمت.

”

نعمة الإدراك... حين يهبك الله بصيرة تفرّق بين النور والظلام

هناك نعم لا تُرى بالعين، لكنها تغيّر حياة الإنسان كاملة.
نعمة لا تُلمس باليد، لكنها تمسك بك من داخلك، وتوجّه خطواتك، وتحمي قلبك، وتجعلك إنسانًا واعيًا وسط هذا العالم المتشابك.
إنها نعمة الإدراك.
أن تدرك يعني أن تفهم.
أن تميّز.
أن تعرف أين تقف.
أن تشعر بالخطر قبل أن تقع فيه.
أن ترى الخطأ ولو كان مزيّنًا، وأن ترى الصواب ولو كان متعبًا.
الإدراك هو ذلك الصوت الهادئ في داخلك الذي يقول لك:
هذا خير... وهذا شر.
هذا ينفعك... وهذا يؤذيك.
هذا حلال يقرّبك من الله... وهذا حرام يسرق طمأنينتك.
كم نحن محظوظون لأن الله وهبنا هذه البصيرة.
قال الله تعالى:
﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾
الهداية تبدأ بالإدراك.
أن تعرف الطريق، ثم تختار.

نستيقظ كل يوم ونحن قادرون على التمييز بين الصواب والخطأ، بين الحق والباطل، بين ما يبني أرواحنا وما يهدمها. نقرأ، نفكر، نزن الأمور، ثم نقرر. هذا ليس أمرًا عاديًا.

هذا فضل عظيم.
الإدراك هو الذي يجعلنا نبتعد عن النار ونحن نراها، لا نسير إليها ونحن نبتسم.
هو الذي يجعلنا نتوقف قبل كلمة جارحة، وقبل فعل مؤذٍ، وقبل طريق مظلم.
الإدراك هو الذي يجعلنا نفهم معنى الذنب، فنستغفر. ومعنى الطاعة، فنفرح بها.
بدونه... يصبح الإنسان تائهًا.

تأمّل قليلًا في أولئك الذين حُرموا من هذه النعمة.
هناك أطفال وشباب يعيشون داخل أجساد سليمة، لكن عقولهم لا تدرك العالم كما ندركه نحن.
لا يفهمون لماذا الألم مؤذٍ.
ولا يعرفون لماذا النار تحرق.
ولا يشعرون بالخطر قبل أن يقع.

بعض مرضى التوحّد، أو الإعاقات الذهنية، قد يؤذون أنفسهم بأيديهم، يضربون رؤوسهم، يعضّون أجسادهم، أو يجرون نحو الخطر... ليس لأنهم يريدون الألم، بل لأنهم لا يدركون.
لا يدركون معنى الأذى.
ولا يفهمون فكرة العواقب.

تخيّل إنسانًا لا يعرف لماذا يجب أن يتوقف.
ولا يميّز بين ما يضرّه وما يحميه.
أليس هذا موجعًا؟
ثم انظر إلى نفسك.
أنت تعرف.
أنت تدرك.
أنت تفهم.
تعرف أن السكين يجرح، فتبتعد.
تعرف أن الحرام يفسد القلب، فتحاول مقاومته.
تعرف أن الطاعة نور، فتسعى إليها.
هذه نعمة عظيمة.
قال الله تعالى:
﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾
﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
الله يذكّرنا بالعقل والتفكير لأنهما من أعظم عطاياه.
الإدراك هو الذي يجعل الإنسان إنسانًا بحق.
به نفهم القرآن.
وبه نستوعب النصيحة.
وبه نراجع أنفسنا.
وبه نشعر بالذنب حين نخطئ.
وبه نعود إلى الله.
بدون إدراك... لا معنى للموعظة.
ولا قيمة للكلمة.
ولا أثر للنصيحة.
نعمة الإدراك هي التي تجعل القلب حيًّا.
حين ترى مشهدًا مؤلمًا فتتأثر.
حين تسمع آية فتخشع.

حين تفعل خطأً فتندم.
كل هذا إدراك.
وكم من إنسان يعيش، يأكل، يشرب، يتحرك... لكنه فقد هذه البوصلة الداخلية. لا يشعر بالذنب، ولا يرى الخطأ، ولا يفرّق بين الحق والباطل. جسده حاضر، لكن بصيرته غائبة.
وهذا نوع آخر من الحرمان.
فالإدراك ليس فقط قدرة عقلية، بل حياة روحية.
هو نور يقذفه الله في القلب.
قال تعالى:
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾
قد ترى بعينيك، لكن لا تدرك بقلبك.
وقد تكون بصيرتك أقوى من بصرك.
نعمة الإدراك تجعلنا نختار الحلال رغم سهولة الحرام.
نختار الصبر رغم قسوة الطريق.
نختار الله رغم زحمة الدنيا.
وكل مرة تقول فيها "لا" لما يضرّك... فهذا إدراك.
وكل مرة تعود فيها إلى الله... فهذا إدراك.
وكل مرة تحاسب نفسك... فهذا إدراك.
فكيف لا نحمد الله على هذه النعمة؟
كيف لا نسجد شكرًا لأننا نفهم، ونعي، ونميّز؟
ربما علينا أن نتوقف أحيانًا، وننظر إلى من حُرموا من هذه البصيرة، فنشعر بالرحمة تجاههم، وبالامتنان لما في أيدينا.
نعمة الإدراك ليست مضمونة إلى الأبد.
وقد تُسلب، أو تُطمس، أو تُضعف.

فلنحفظها بطاعة الله.
ولنقوّيها بالعلم.
ولنصونها بالذكر.
ولنقل من قلوبنا قبل ألسنتنا:
الحمد لله الذي هدانا،
الحمد لله الذي علّمنا،
الحمد لله الذي جعل لنا عقولًا تبصر، وقلوبًا تشعر،
وبصائر تفرّق بين النور والظلام.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾

وهبنا الله طريقين، وترك لقلبنا شرف الاختيار... نورٌ يهدينا لنفرق بين الحق والباطل."

الصحة والتعليم... نعم نعيشها ولا نشعر بثقلها

نستيقظ كل صباح، نقوم من أسرّتنا، نغسل وجوهنا، نتحرك، نخرج، ننجز أعمالنا، وربما نشتكي من التعب، أو من ضغط اليوم، أو من كثرة المسؤوليات. لكن قليلًا ما نتوقف لنسأل أنفسنا: كيف كان سيكون هذا اليوم لو لم نكن أصحاء؟

الصحة ليست أمرًا عاديًا.
الصحة معجزة يومية.
أن تستيقظ وأنت قادر على الوقوف، أن تمشي دون ألم، أن ترى الطريق أمامك، أن تسمع الأصوات من حولك، أن تتنفس بسهولة... هذه ليست تفاصيل صغيرة. هذه نعم عظيمة، لكنها صامتة، لا تطرق أبوابنا لتذكّرنا بنفسها.

قال الله تعالى:
﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾
الصحة من تلك النعم التي لا نعرف قيمتها إلا حين تبتعد قليلًا. لحظة مرض واحدة كافية لتغيّر نظرتنا للحياة. صداع بسيط قد يعكّر يومًا كاملًا، وألم صغير في الجسد قد يجعل كل شيء ثقيلًا.

ومع ذلك... حين نكون بخير، ننسى.

ننسى أن القلب ينبض بلا توقف.

ننسى أن الرئتين تعملان بصمت.

ننسى أن الجسد يتعاون بكل أجزائه ليبقينا واقفين.

الصحة ليست فقط غياب المرض، بل القدرة على أن تعيش، أن تتحرك، أن تضحك، أن تصلي، أن تحلم.

كم من إنسان يتمنى فقط أن يمشي؟

كم من قلب يتمنى نفسًا بلا ألم؟

كم من مريض يتمنى سجدة واحدة دون تعب؟

وحين ننظر حولنا، ندرك أن العافية ليست موزعة بالتساوي على الجميع.

هناك من يعيش في المستشفيات، وهناك من يقضي أيامه بين الأدوية، وهناك من يحارب الألم بصمت، وهناك من يتمنى صباحًا بلا وجع.

فكيف لا نحمد الله على كل لحظة عافية؟

ثم يأتي التعليم.
ذلك النور الذي يفتح العقول، ويصنع الوعي، ويمنح الإنسان قدرة على الفهم والاختيار.
أن تتعلم... هذه نعمة.
أن تعرف القراءة، أن تفهم الكلمات، أن تكتب أفكارك، أن تبحث، أن تسأل، أن تطوّر نفسك... كل هذا ليس أمرًا مفروغًا منه.
التعليم ليس مجرد مدرسة، أو شهادة، أو كتاب. التعليم هو مفتاح. هو الباب الذي يُفتح أمام الإنسان ليرى العالم بشكل أوسع، وليفهم دينه أعمق، وليخدم مجتمعه أفضل.
قال الله تعالى:
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
العلم يرفع الإنسان.
يجعل صوته مسموعًا.
يفتح له آفاقًا جديدة.
ويمنحه القدرة على التمييز بين الحق والباطل.
لكن كم من طفل لا يجد مدرسة؟
كم من فتاة حُرمت من التعليم؟
كم من شاب اضطر لترك الدراسة ليعمل؟
وكم من عقل ذكي لم تتح له فرصة أن يتعلّم؟
نحن نفتح الكتب بسهولة، نبحث في الإنترنت خلال ثوانٍ، نتعلم من مقاطع قصيرة، نصل للمعلومة بضغطة زر. هذه رفاهية لم تكن موجودة قبل سنوات قليلة، وما زالت غير متاحة لكثيرين.
الصحة والتعليم ليسا فقط "حقوقًا" كما تعلّمنا في المناهج. هما نعم قبل أن يكونا حقوقًا. عطايا من الله قبل أن يكونا مطالب اجتماعية.

الصحة تعطيك القدرة على السجود.
والتعليم يعطيك القدرة على فهم ما تسجد له.
بالصحة تعمل الخير.
وبالعلم تعرف كيف يكون الخير.
وحين يجتمع الاثنان، يصبح الإنسان قادرًا على البناء، والعطاء، والتغيير.

ربما علينا أن نعيد النظر في طريقة تعاملنا مع أيامنا. أن نشكر الله حين نستيقظ بلا ألم. أن نحمده حين نفتح كتابًا أو نفهم فكرة جديدة. أن نتذكر أن هناك من يتمنى مكاننا الآن.

ليس المطلوب أن نشعر بالذنب، بل أن نشعر بالامتنان.
أن نقول في قلوبنا كل صباح:
الحمد لله على العافية.
الحمد لله على العقل.
الحمد لله على القدرة على التعلم.
الحمد لله على الفرص.

الصحة والتعليم ليسا أشياء نمتلكها فقط، بل أمانات بين أيدينا. مسؤولية أن نستخدمهما فيما يرضي الله، وأن نساعد من حُرم منهما، وأن نتواضع لأن ما نحن فيه فضل، لا استحقاق مطلق.

وحين نفهم هذا، تتحول أيامنا العادية إلى نعم كبيرة، وتتحول أبسط لحظات حياتنا إلى أسباب صادقة للحمد.

"
ليس الغنى فيما نملك، بل في جسدٍ
لا يشتكي، وعقلٍ يفهم، وقلبٍ يدرك
أن كل يوم جديدٌ فرصة منحها الله
لمن ما زال قادرًا على التعلم
والحياة.
"

الماء... حين يتكلّم الله بلغة الرحمة

الماء ليس مجرد نعمة.
الماء رسالة حب.
حين يعطش الإنسان، يعرف قيمة الماء فورًا. لكن حين يرتوي كل يوم، ينسى. ننسى أن هذا السائل الشفاف الذي يمرّ في أجسادنا بصمت، هو سر بقائنا، وروح الأرض، وأقرب دليل على رحمة الله.
الله لم يقل: جعلتُ بالماء بعض الأشياء حيّة.
قال:
﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾
كل شيء.
أي أن حياتك أنتِ... بدأت بالماء.
نبض قلبك الآن... قائم بالماء.
تفكيرك، دموعك، ابتسامتك، حتى سجودك... كلّه مدعوم بقطرات ماء.
تخيّلي عالمًا بلا ماء.
لا شجر، لا طيور، لا بشر، لا زهور، لا مطر، لا أنهار.
فراغ كبير... وصمت مخيف.
ثم انظري حولك الآن.
كل هذا الجمال لأن الله قال للماء: كن حياة.
الماء ينزل من السماء بهدوء، لا يصرخ، لا يتباهى، لا يطلب شكرًا، لكنه يحيي الأرض بعد موتها. يلمس التراب فتخرج الزهور. يدخل الجذور فتقف الأشجار شامخة. يصل إلى الأجساد فيعيد لها القوة.

هو أكثر النعم تواضعًا... وأكثرها عطاءً.
حين تشربين الماء، لا تفكرين في الرحلة الطويلة التي قطعها ليصل إليك:

تبخّر من البحر، صعد إلى السماء، تكاثف في الغيوم، نزل مطرًا، مرّ في الأرض، خُزّن، نُقّي، ثم وصل إلى كأسك.
كل هذه المراحل... فقط لأجلك.

قال الله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾
كأن الله يقول: أنا أوصل رزقكم إليكم حتى في باطن الأرض.
الماء ليس فقط للشرب.
هو للوضوء، لنغسل ذنوبنا قبل الصلاة.
هو للغسل، لنطهر أجسادنا.
هو للزرع، ليخرج لنا الطعام.
هو للبحار، لتعيش المخلوقات.
هو للدموع، حين يفيض القلب.
حتى البكاء... ماء.

الله جعل في الماء قدرة على التنظيف من الخارج، ومن الداخل أيضًا. حين نتوضأ نشعر بخفة. حين نغتسل نشعر بتجدد. كأن الماء لا يلمس الجلد فقط، بل يمرّ على الروح.
وفي المطر، هناك حكاية أخرى.

المطر ليس مجرد نزول ماء. المطر وقت استجابة دعاء. المطر لحظة صفاء. المطر يعلّمنا أن الرزق قد ينزل فجأة، بعد انتظار طويل.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾
بعد ما قنطوا...
أي بعد التعب، بعد اليأس، بعد طول الصبر.
هكذا يفعل الله دائمًا.
والماء يذكّرنا أننا ضعفاء.
عطش بسيط يجعلنا نفقد تركيزنا.
نقص ماء يجعل الجسد ينهار.
كل قوتنا، وكل ذكائنا، وكل حضارتنا... تقف عاجزة أمام قطرة ماء.
ربما لهذا جعله الله أصل الحياة، ليبقينا متواضعين.
في كل مرة تشربين ماء، قولي في قلبك: الحمد لله.
ليس عادة. بل وعيًا.
الحمد لله الذي سقانا.
الحمد لله الذي أحيانا.
الحمد لله الذي جعل من هذا السائل البسيط حياة كاملة.
الماء ليس شيئًا عاديًا.
الماء آية.

"

قد نبحث عن السعادة في أشياء
عظيمة، بينما الحياة نفسها تختبئ في
كأس ماء بارد لا نشعر بقيمته إلا حين
يُفقد. و أن أبسط ما يمنحه الله قد
يكون أعظم ما نحيا به كالماء تماما

"

النِّعم المادية... حين تصبح الوسائل جسورًا إلى الله

نعيش في زمن تغيّر فيه كل شيء بسرعة. صارت المسافات أقصر، والوقت أسرع، والأمور التي كانت تحتاج أيامًا أو ساعات، أصبحت تُنجز بكبسة زر. نضغط على شاشة صغيرة فتصلنا الأخبار، نطلب حاجاتنا فنجدها عند الباب، نراسل من نحب في لحظة، ونسافر بين المدن في ساعات قليلة.

لو توقّفنا قليلًا وتأملنا، لأدركنا أن هذا كله ليس أمرًا عاديًا.

المواصلات التي تقلّنا من مكان إلى آخر، الطرق المعبّدة، القطارات، الحافلات، السيارات... كلها نعم عظيمة. هي تختصر أعمارًا من التعب، وتمنحنا وقتًا كان سيضيع في المشي الطويل أو الانتظار المرهق. والتقدّم الإلكتروني الذي بين أيدينا اليوم جعل الحياة أسهل، والمهام أبسط، والوصول إلى المعرفة أسرع من أي وقت مضى.

كل ذلك من تسخير الله.
قال تعالى:﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾.

هذه الآية وحدها كافية لنفهم أن ما نملكه ليس صدفة، ولا نتيجة جهد البشر وحدهم، بل فضل من الله قبل كل شيء.

الهاتف الذي في يدك الآن نعمة.
الإنترنت نعمة.
سهولة التواصل نعمة.
سرعة الوصول للمعلومة نعمة.
لكن المشكلة ليست في النعم، بل في الطريقة التي نستخدمها بها.

كان من الممكن أن تكون هذه الوسائل أبوابًا واسعة للخير، وجسورًا تقرّبنا من الله، وتمنحنا وقتًا أكبر للعبادة، وللقرب من أهلنا، وللاهتمام بأنفسنا. كان من الممكن أن نستثمر الدقائق التي وفّرتها لنا التكنولوجيا في قراءة القرآن، أو في ذكر الله، أو في صلاة ركعتين، أو في التأمل الهادئ. التقدّم اختصر علينا المشقة، ليمنحنا أثمن ما نملك:

الوقت.
والوقت هو الحياة.
لكننا في كثير من الأحيان نستهلك هذا الوقت في التصفّح بلا هدف، وفي متابعة ما لا ينفع، وفي سباق المقارنات، حتى صرنا نشعر أننا أكثر تعبًا رغم أن كل شيء أصبح أسهل.

الغريب أن النعم التي جاءت لتريحنا، أصبحت أحيانًا سببًا في إرهاق قلوبنا.
ومع ذلك، يبقى الباب مفتوحًا.
يمكن للهاتف أن يكون وسيلة ذكر.
يمكن للتطبيقات أن تكون أبواب علم.
يمكن للمواصلات أن تصبح لحظات تسبيح وتأمل.

يمكن للسرعة أن تختصر الطريق إلى السجود، لا أن تبعدنا عنه.

حين ننجز أعمالنا بسرعة، يصبح لدينا متّسع للجلوس مع القرآن.

حين تصل حاجاتنا بسهولة، يبقى في اليوم وقت للدعاء.
حين تختصر التكنولوجيا المسافات، يمكننا أن نختصر نحن المسافة إلى الله.

كل نعمة مادية تحمل في داخلها فرصة روحية، لكن القلب هو من يختار.

ليس المطلوب أن نرفض التطور، بل أن نستخدمه بوعي.
أن نحمد الله على ما بين أيدينا، وأن نسأل أنفسنا: هل تقرّبني هذه النعمة من ربي؟ أم تشغلني عنه؟

فالحياة الحديثة ليست عدوًا للروح، إذا عرفنا كيف نعيشها بقلب حاضر.

وحين نستشعر هذه النعم، ونربطها بالله، تتحول الأشياء البسيطة إلى عبادات، وتصبح كل كبسة زر فرصة شكر، وكل طريق مختصر دعوة صامتة للامتنان.

لم تعد النِّعم المادية في عصرنا تقتصر على الطعام واللباس والمسكن، بل أصبحت التكنولوجيا ووسائل المواصلات جزءًا من تفاصيل حياتنا اليومية، تحيط بنا من كل جانب حتى صارت أقرب إلينا من أيدينا.

الهاتف الذي نحمله، والشبكات التي تجمع البشر في لحظة واحدة، والوسائل التي تختصر المسافات الطويلة في ساعات قليلة... كلها نعم عظيمة لو تأملناها لوجدنا فيها تيسيرًا لم يكن يخطر ببال من سبقونا.

لكن الحقيقة التي ينبغي أن نتوقف عندها أن هذه التكنولوجيا لم تُصنع دائمًا فقط لتسهيل حياة الإنسان، بل أصبحت في كثير من الأحيان تستهدف وقته وانتباهه ومردوديته؛ تجذبه بلا شعور، وتسرق من يومه ساعات كان يمكن أن تُبنى بها حياة أو تُصلح بها نفس أو يُتقرب بها إلى الله.

ومع كثرة الاستعمال قد يتحول الإنسان من مستخدمٍ للتقنية إلى مستخدَمٍ لها، فيضعف نشاطه ويقل حضوره الحقيقي في واقعه.

وهنا يظهر ميزان المسؤولية؛ فالمؤمن لا يرفض النعمة ولا يهرب منها، بل يهذب استعمالها ويوجهها لما يرضي الله. فهذه الأجهزة التي بين أيدينا ستشهد علينا يومًا ما: ماذا شاهدنا؟ ماذا كتبنا؟ ماذا نشرنا؟ ومن أثرنا بكلماتنا؟ إن كل حرف نرسله، وكل صورة نشاركها، وكل فكرة ننشرها هي أمانة تُكتب في صحيفة أعمالنا.

فلنجعل من هذه الوسائل منابر خير، وبؤر دعوة، ومساحات نور تُزاحم الباطل ولا تترك له الساحة خالية.

لنحوّل الهاتف من بابٍ للغفلة إلى بابٍ للأجر، ومن عادةٍ يومية إلى رسالةٍ واعية. فليست القيمة في امتلاك التقنية، بل في الغاية التي نستخدمها من أجلها؛

لأن النعمة حين تُربط بالنية الصالحة تتحول من أمرٍ عادي إلى عبادةٍ تمتد آثارها بعدنا.

"ليست النِّعم بما نملكها بين أيدينا، بل بما تصنعه في قلوبنا وأعمالنا؛ فالتكنولوجيا قد تختصر المسافات، لكنها لا تختصر الطريق إلى الله، وإنما نحن من نختار أن نجعلها سلّمًا نرتقي به... أو قيدًا يثقل خطانا."

المطر ورائحة التراب

للمطر لغة لا يسمعها إلا القلب.

حين تهطل أولى القطرات، يتغيّر كل شيء دون ضجيج؛ يهدأ الهواء، وتلين الأرواح، ويشعر الإنسان أن السماء اقتربت قليلًا من الأرض، وكأن بينهما حديثًا قديمًا يتجدد. المطر ليس ماءً فقط، بل طمأنينة تسير على شكل قطرات، ورسالة رحمة تهبط بهدوء لتقول للقلوب المتعبة: ما زال الخير ينزل.

في اللحظة الأولى لنزوله، يحدث شيء خفي داخل الإنسان؛ يبطئ خطواته، يصمت عقله قليلًا، ويراقب المشهد كما لو أنه يراه لأول مرة. كأن المطر يعيد إلينا قدرتنا على الشعور التي سرقتها سرعة الأيام.

ورائحة التراب بعد المطر... تلك الرائحة التي لا تشبه شيئًا في العالم. ليست مجرد رائحة أرض مبتلة، بل ذاكرة قديمة تسكن داخلنا جميعًا. رائحة بداية جديدة، رائحة حياة تعود بعد انتظار طويل. كأن الأرض نفسها تتنفس بعد عطش، وكأن التعب الذي كان مختبئًا في أعماقها قد غُسل بلطف.

نقف خلف النوافذ أحيانًا نراقب المطر بصمت، دون أن ندرك أن هذه اللحظات نعمة خالصة. قطرات صغيرة، لكنها قادرة على إحياء أرض كانت ميتة، وإيقاظ شعورٍ نام طويلًا داخل القلب. نشعر براحة لا نعرف سببها، وكأن شيئًا ثقيلاً انسحب من صدورنا دون استئذان.

قال الله تعالى:
﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾

ليست الآية عن الأرض وحدها، بل عن القلوب أيضًا. فكما تنتظر الأرض المطر بصبر، تنتظر الأرواح لحظة الفرج التي يعلم الله وقتها. المطر يعلّمنا أن التأخير ليس حرمانًا، وأن السماء تعرف متى تعطي، وأن الرحمة قد تتأخر... لكنها لا تضيع.

كم مرة مشينا تحت المطر بلا مظلة، فقط لنشعر بقطراته على وجوهنا؟ كم مرة رفعنا رؤوسنا نحو السماء وابتسمنا دون سبب واضح؟ في تلك اللحظات يعود الإنسان بسيطًا كما خُلق أول مرة؛ بلا أقنعة، بلا تعقيد، فقط روح تستقبل رحمة الله مباشرة.

وحين تمتزج قطرات السماء بتراب الأرض، يولد مشهد من أعظم مشاهد الحياة. الأرض التي كانت صامتة تبدأ بالكلام عبر الزهور، والحقول التي كانت جافة تمتلئ لونًا، والقلوب التي ضاقت تتسع دون أن تدري لماذا.

المطر يذكّرنا أن الله قريب، وأن رحمته لا تأتي دائمًا بصوتٍ عالٍ، بل أحيانًا تنزل بهدوء، قطرةً قطرة، حتى تمتلئ الحياة من جديد. يعلّمنا أن كل شيء يمكن أن يعود حيًا... بعد أن نظن أنه انتهى.

ولعلّ أجمل ما في المطر أنه لا يسأل الأرض إن كانت تستحق، بل يهطل عليها جميعًا. وهكذا رحمة الله، تشملنا حتى في لحظات ضعفنا وغفلتنا.

فحين تسمع صوت المطر ليلًا، تذكّر أن السماء ما زالت ترسل رسائل حب إلى الأرض... وأن قلبك واحد من الأماكن التي تقصدها تلك الرحمة.

المطرُ ليس ماءً فقط...
إنه رسالةُ طمأنينةٍ تهبط من السماء لتخبر
القلوب أن بعد الجفاف حياة،
وأن الأرض كما تُبعث بقطرات الغيث، تُبعث
الأرواحُ بالأمل حين يلامسها لطفُ الله.
فكلُّ قطرةٍ مطرٍ تهمس لنا: لا شيء يبقى قاحلًا
ما دام الرجاء حيًّا.
قال الله تعالى:
﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ
رَحْمَتَهُ﴾.

هدوء الليل... وقيام القلب

حين ينزل الليل على الأرض، لا ينزل معه الظلام فقط، بل تنزل رحمة خفية لا يشعر بها إلا من أبطأ خطواته وأصغى لصمت الكون. تخفت ضوضاء النهار،

وتنسحب انشغالات الناس، وكأن الحياة نفسها تدعوك بلطف أن تتوقف قليلًا... أن تعود إلى داخلك، وأن تتذكر من أنت، ولماذا خُلقت.

في الليل يصبح كل شيء صادقًا. لا أقنعة، لا استعجال، لا أعين تراقبك. القمر يسكب نوره بهدوء، والنجوم تلمع كأنها تهمس بأن هذا الكون الواسع كله قائم بأمر الله، وأن القلب الصغير الذي في صدرك ليس منسيًا بين هذا الاتساع.

حين يسكن العالم، يبدأ صوت الروح بالظهور. تسمع أفكارك بوضوح، وتشعر بحاجتك إلى الله دون أن يذكّرك أحد. هناك لحظة خفية يعرفها من جرّبها؛

لحظة تقوم فيها من فراشك مترددًا، والدفء يشدك، والنوم يناديك، لكن شيئًا أعمق يدفعك للوقوف... كأن روحك اشتاقت قبل جسدك.

ليس المطلوب أن تطيل الوقوف، ولا أن تُتعب نفسك، فالله لا يريد مشقتك بل قربك.

ركعتان خفيفتان، بقراءة هادئة وقلب حاضر، قد تغيّر شعور ليلة كاملة. المهم أن تبدأ... أن تفتح بابًا بينك وبين الله لا يغلقه نوم ولا انشغال.

وحين تعود إلى فراشك بعد الصلاة، ستشعر أن الليل لم يعد مجرد ساعات صامتة، بل صار رفيقًا دافئًا، وأن النوم بعد القيام مختلف؛ نوم مطمئن، كأن القلب ألقى ما كان يحمله عند باب السماء.

ربما لهذا كان أجمل الناس سكينة هم الذين يعرفون طريقهم إلى الله في الليل. لأن من اعتاد أن يقف بين يدي الله حين ينام العالم، لا تضيق به الحياة كثيرًا، ولا تكسره الأيام بسهولة.

فإذا مرّ عليك الليل مرة أخرى، وتسلل الهدوء إلى غرفتك، فلا تدعه يمر كعادته... قم ولو لدقائق، توضأ بهدوء، وصلِّ ركعتين فقط. قد لا يتغير العالم في تلك اللحظة، لكن شيئًا عميقًا في داخلك سيبدأ بالشفاء.

"ليس المطلوب أن تكون قويًا كل يوم،
ولا أن تحمل قلبك وحدك طوال
الطريق... يكفي أن تعرف بابًا تطرقه في
الليل، فتضع عنده تعبك وتمضي مطمئنًا.
فركعتان في سكون الليل قد لا يراهما
أحد، لكنهما تُعيدان ترتيب روحك كما لو
أن العالم بدأ من جديد، خذ سجادتك
وأبكي وأبكي وأبكي وأبكي حتى....
ترتاح"

الذاكرة... حين يتكلم الداخل بصمت

للإنسان عالم واسع لا تُدركه العيون، عالم يسكنه وحده، تحيا فيه تفاصيل لا يسمعها أحد سواه. داخل كل قلب أرشيف خفي من اللحظات؛ وجوه مرّت، كلمات بقي أثرها، مواقف ظنناها عابرة لكنها استقرت في أعماقنا دون أن نشعر.

الذاكرة ليست مجرد صور محفوظة في العقل، بل حياة أخرى نعود إليها كلما هدأ الخارج وبدأ الداخل بالكلام.

أحيانًا نجلس وحدنا، بلا سبب واضح، فيزورنا الماضي بهدوء. نتذكر ضحكة قديمة، موقفًا أوجعنا، أو لحظة دفء شعرنا فيها أننا بخير تمامًا. تمرّ الذكريات كنسيم خفيف؛ بعضها يبتسم فينا، وبعضها يوقظ حنينًا لا نعرف كيف نفسّره. وكأن القلب يحتفظ بكل شيء، حتى بما ظننا أننا نسيناه.

الذاكرة نعمة عظيمة؛ بها نتعلم، وبها نفهم أنفسنا، وبها ندرك كيف تغيّرنا مع الأيام. فهي التي تجعل الإنسان ينضج، لا بكثرة السنين، بل بكثرة ما تأمله وفهمه مما مرّ به. كل تجربة، حتى المؤلمة منها، تحمل درسًا خفيًا، وكأن الحياة تقول لنا: لم يحدث شيء عبثًا.

لكن حين يتحول التفكير إلى دورانٍ بلا نهاية، يصبح ثِقلًا بدل أن يكون نورًا. فالعقل الذي خُلق للتأمل قد يتحول إلى مصدر قلق إن أُطلق بلا هدوء.

نسترجع ما كان، ونحلّل ما قيل، ونتخيل ما كان يمكن أن يحدث... فتُتعب قلوبنا بأشياء انتهت منذ زمن.

العيش الطويل في الماضي يسرق نعمة الحاضر. فالله لم يمنحنا الذاكرة لنغرق فيها، بل لنفهم الطريق. ولم يعطنا التفكير لنحمل همّ الغد قبل أن يأتي، بل لنبصر الحكمة في خطواتنا.

قال الله تعالى:
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾.

التدبر ليس كثرة التفكير، بل صفاؤه. هو أن ينظر الإنسان بعين هادئة، وقلب مطمئن، فيرى المعنى بدل أن يغرق في التفاصيل. التدبر أن تسأل: ماذا أراد الله أن يعلّمني من هذه اللحظة؟ لا أن تسأل: لماذا حدث كل هذا لي؟

وفي لحظات الصمت، حين تنخفض ضوضاء العالم، يظهر صوتك الحقيقي. هناك، بين فكرة وأخرى، تشعر أن الله أقرب مما كنت تظن. تدرك أن كثيرًا من الأسئلة لا تحتاج جوابًا بقدر ما تحتاج طمأنينة. وأن القلب حين يهدأ، يفهم ما عجز العقل عن ترتيبه.

ليس مطلوبًا منك أن تفهم الحياة كلها، ولا أن تملك تفسيرًا لكل ما مرّ بك. بعض الأمور لا تتضح إلا بعد زمن، وبعض الحكم لا تُرى إلا حين ننظر إلى الوراء بقلب راضٍ. وما لم تفهمه اليوم، قد تشكر الله عليه غدًا.

أحيانًا يكون السلام الحقيقي في أن تتوقف عن محاولة السيطرة على كل شيء. أن تترك مساحة لله يدبر فيها أمرك كما يشاء.

فكم من طريق ظننته ضياعًا كان بداية نجاة، وكم من تأخير ظننته حرمانًا كان رحمة خفية.

حين يثقل التفكير، قل بهدوء:
"يا رب، أنت تعلم ما في قلبي أكثر مني، فدبّر أمري بما هو خير لي."

فليس أجمل من قلب يتذكر دون أن ينكسر، ويفكر دون أن يقلق، ويعيش يومه مطمئنًا لأنه يعلم أن الله لا يضيع شيئًا... لا دمعة، ولا دعاء، ولا لحظة صبر مرت بصمت.

الذاكرة صفحة نتعلم منها، لا بيتًا نسكن فيه.
والتفكير نورٌ يقود الطريق، لا حملًا نضعه فوق أرواحنا. وحين يتوازن القلب بين التذكر والتوكل، يبدأ الإنسان أخيرًا في العيش بسلام.

"ليس كل ما تتذكره يجب أن يؤلمك، ولا كل ما تفكر فيه يستحق قلقك... اترك بعض الأمور لله، فالقلب الذي يُحسن الظن بربه ينام هادئًا، حتى وإن بقيت الأسئلة بلا إجابة."

صوت الأذان... وخطوات المصلين

للأذان هيبة لا تشبه أي صوت آخر في الدنيا.
صوت يرتفع في السماء خمس مرات في اليوم، لكنه لا يطرق الآذان فقط... بل يوقظ القلوب. كأن في هذه الكلمات نورًا خفيًا يعرف طريقه إلى الداخل مباشرة.

حين تسمع الأذان، تشعر أن الدنيا تتوقف لحظة.
الضجيج يهدأ، والأفكار تتباطأ، وكل شيء يصغر فجأة أمام هذه الكلمات العظيمة: الله أكبر.

أكبر من تعبك، أكبر من همّك، أكبر من خوفك، أكبر من كل ما يشغل قلبك.
كأن الأذان يذكّر الإنسان بحقيقة بسيطة نسيها وسط زحمة الحياة:
أن هناك ربًا أعظم من كل شيء، وأن الرجوع إليه هو الراحة الحقيقية.

قال الله تعالى:
﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾

فالأذان ليس مجرد إعلان لوقت الصلاة، بل نداء من السماء إلى الأرض، دعوة مفتوحة لكل قلب متعب أن يعود، ولكل روح ضاقت أن تجد طريقها من جديد.
وفي الفجر تحديدًا... يكون للأذان طعم آخر

المدينة ما زالت نائمة، والسماء تميل إلى زرقتها الخفيفة، والهواء بارد نقي كأنه خرج لتوّه من بين النجوم. لحظة هدوء لا يسمع فيها إلا صوت المؤذن وهو يقول:
الصلاة خير من النوم.
كم تحمل هذه الكلمات من معنى عظيم.
إنها تذكير بأن الروح تحتاج إلى ما هو أعظم من راحة الجسد، وأن القلب حين يقف بين يدي الله يجد راحة لا يمنحها أي نوم.
ثم تبدأ الخطوات...
رجال يخرجون من بيوتهم بهدوء، يمشون نحو المساجد في سكينة جميلة، كأن المدينة كلها تتحرك باتجاه واحد.
لا ضجيج، لا استعجال، فقط خطوات هادئة تعرف طريقها جيدًا.
قال الله تعالى:
﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾
تُفتح أبواب المساجد بهدوء...
وكأنها تفتح أبواب الرحمة معها.
يدخل المصلون، فتُغلق خلفهم الدنيا قليلًا.
تبقى خارج المسجد هموم كثيرة، وأحاديث كثيرة، وأشياء كثيرة لا تستحق أن تحملها الروح.
تمتلئ الطرقات برائحة الطهارة، برائحة الوضوء، برائحة السجود.
رائحة لا تُرى، لكنها تُحس.
رائحة مسك المصلين الذين اختاروا أن يبدأوا يومهم بالقرب من الله.

قال رسول الله ﷺ:
«لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا».
تأمل هذا المشهد قليلًا...
بشر عاديون تمامًا.

ليسوا مشهورين، ولا يبحثون عن تصفيق أحد، ولا تلتقطهم الكاميرات.
لكنهم قاموا من فراشهم الدافئ في ظلمة الفجر، ومشوا خطوات هادئة نحو بيت الله.
فقط لأن قلوبهم سمعت النداء.
كل خطوة يمشونها تكتب لهم حسنة، وتمحو عنهم خطيئة، وترفع لهم درجة.

قال رسول الله ﷺ:
«من تطهَّر في بيته ثم مشى إلى بيتٍ من بيوت الله ليقضي فريضةً من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة».

الصلاة ليست حركة جسد، بل عودة روح.
حين تكبّر، كأنك تترك الدنيا خلف ظهرك.
وحين تقرأ القرآن، كأن السماء تفتح لك نافذة صغيرة.
وحين تركع، ينحني معك شيء من الكِبر الذي يسكن النفس.
وحين تسجد... تضع أثقل ما في قلبك على الأرض، وترفع أخف ما في روحك إلى السماء.

قال الله تعالى:
﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾.

كأن السجود هو أقصر طريق بين الأرض والسماء.
وفي تلك اللحظة الهادئة، بين جبهةٍ تلامس الأرض وقلبٍ يهمس بالدعاء، يشعر الإنسان أنه عاد إلى مكانه الحقيقي... عبدًا بين يدي ربه.

ما أجمل الحياة حين تبدأ بالأذان.
وما أجمل الأيام حين تبدأ بخطوة نحو المسجد.
وما أجمل القلوب حين تعتاد أن تسمع النداء فتجيب دون تردد.

فالأذان ليس مجرد صوت يمرّ في الهواء...
إنه نداء رحمة يتكرر كل يوم، ليذكرنا أن أبواب الله ما زالت مفتوحة، وأن الطريق إليه قريب... أقرب مما نظن.

وما أجمل الحياة حين تبدأ بالأذان،
وتُختم بالذكر،
ويكون القلب بينهما... مطمئنًا.

"ليس أعظم في الحياة من إنسانٍ
ترك دفء فراشه في الفجر،
وغسل وجهه بالماء البارد،
ومشى في سكون الليل
ليقول لله وحده:
ها أنا ذا يا رب."

الابتلاء... رحمة لا نفهمها دائمًا

ليس كل ما يؤلمنا شرًا، وليس كل ما يُكسر في حياتنا خسارة.

كثيرًا ما نظن أن الابتلاء قسوة، بينما هو في الحقيقة تدبير دقيق من الله، يعلم به ما نجهله.

قال الله تعالى:
﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.

في يومٍ من الأيام مرّت عاصفة ثلجية قوية.
كانت الرياح شديدة، والبرد يتساقط بكثرة، حتى إن بعض حبات البرد كانت بحجم فنجان صغير. كان صوتها وهي تضرب الأرض والأشجار قويًا، حتى بدا المشهد قاسيًا.
وفي الصباح، حين هدأت العاصفة، ظهرت آثارها في كل مكان.

أوراق كثيرة سقطت، وبعض الأغصان انكسرت، وأشجار بدت كأنها فقدت شيئًا من جمالها.
لكن حين تأملت المشهد بهدوء، ظهر معنى آخر.
تلك الحبات التي بدت قاسية... كانت تسقط أوراقًا أثقلت الأشجار.
وتلك الرياح التي بدت عنيفة... كانت تزيل أغصانًا ضعيفة لن تستمر طويلًا.

وبعد وقت، ستعود هذه الأشجار لتنبت من جديد.
ستظهر أوراق جديدة، أكثر خضرة وقوة، كأن العاصفة لم تكن دمارًا... بل كانت بداية تجدد.
حينها أدركت معنى عميقًا.
الله يعلم ما تحتاجه الشجرة.

يعلم أي ورقة يجب أن تسقط، وأي غصن يجب أن ينكسر، وأي جزء يجب أن يُزال لتبقى الشجرة أقوى.
أما الإنسان، فعندما يقصّ أغصان الأشجار، لا يعلم دائمًا إن كان فعله صحيحًا أم لا. قد يظن أنه يصلحها، وهو في الحقيقة قد يضعفها.

لكن الله... يعلم.
قال الله تعالى:
﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾.
حتى الورقة التي تسقط من الشجرة... يعلمها الله.
فكيف بقلوبنا، وأحوالنا، وما يمر بنا من ابتلاء؟
ربما تسقط في حياتنا أشياء نحبها.

ربما تنكسر بعض الأحلام، أو تضيق الطرق التي كنا نريد السير فيها.
لكن مثلما تتجدد الأشجار بعد العاصفة... تتجدد الحياة بعد الابتلاء.

وقد يكون ما انكسر في طريقنا هو ما كان سيضعفنا لو بقي.

فالابتلاء ليس دائمًا علامة غضب، بل قد يكون عناية خفية.

عناية يهيئ بها الله قلوبنا، ويخفف بها ما أثقلنا، ويعيد ترتيب حياتنا بطريقة لا نفهمها في اللحظة الأولى.

ولهذا، حين تمر العواصف في حياتنا، قد يكون الخير أقرب مما نظن.

"الابتلاء هو مدرسة الله للحياة. كل عاصفة، كل صعوبة، وكل سقوط كل فقد ، هي فرصة لنرى قوة صبرنا وصدق إيماننا. كما ترمم السماء الأرض بالمطر، ويختار الله ما يصلح للشجر من أوراق وأغصان، هو أعلم بما يصلح لنا ويقوينا."

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155]

السكينة... حين يهدأ القلب

هناك لحظات في الحياة لا يتغير فيها شيء حولنا،
لكن شيئًا في داخلنا يهدأ فجأة.
يخفّ القلق، ويصمت الضجيج، ويشعر القلب أنه عاد إلى مكانه الطبيعي. تلك هي السكينة.

السكينة ليست غياب المشاكل، ولا انتهاء المتاعب، بل هي هدوء يضعه الله في القلب وسط كل ذلك. قد يكون الإنسان محاطًا بالهموم، ومع ذلك يشعر بطمأنينة عجيبة، كأن يداً خفية تربّت على قلبه وتقول له: لا تقلق... أنا معك.

وقد ذكر الله هذه النعمة العظيمة في كتابه فقال:
﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾
السكينة ليست شيئًا نصنعه نحن، بل شيء يهبُه الله لمن اقترب منه.

نجدها في الصلاة حين يطول السجود، وفي لحظة دعاء صادق، وفي دمعة تنزل من خشية الله.
كم من إنسان كان قلبه مضطربًا، فلما رفع يديه إلى السماء هدأ.

وكم من إنسان ضاقت به الدنيا، فلما ذكر الله شعر أن صدره اتسع.

قال الله تعالى:
﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

ولهذا كان الصالحون إذا ضاقت بهم الحياة عادوا إلى الله، لا هربًا من الواقع، بل بحثًا عن السكينة التي لا يجدونها في شيء آخر.

فالسكينة ليست في المال، ولا في كثرة الانشغال، ولا في الهروب من الحياة...

السكينة في أن يعلم القلب أن له ربًا يدبّر أمره، ويعلم حاله، ويرى ضعفه.

حين يستقر هذا المعنى في القلب، تهدأ الروح.
وحين تهدأ الروح، تصبح الحياة أخفّ مهما كانت ثقيلة.
فالسكينة... نعمة خفية، لكنها من أعظم النعم.

"السكينة ليست مكانًا، بل شعور يغمر
القلب حين يطمئن للقدر ويستسلم
لحكمة الله. حين تهدأ الروح وتختفي
الضوضاء من الداخل، تسمع النفس همس
الخالق، وتجد السلام الذي لا يزرعه شيء
آخر في القلب."

قال الله تعالى:
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا
بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]

الخاتمة

حين نصل إلى نهاية هذه الرحلة بين الفصول، نجد أن كل لحظة، كل نعمة، وكل ابتلاء، وكل نفسٍ تنشق الهواء، وكل قطرة ماء، وكل ضحكة، وكل دمعة، هي رسالة من الله لنا. رسالة تقول: "أنا معك، أنا الذي خلقك ووهبتك الحياة بكل تفاصيلها".

لقد رأينا النور في ضوء الصباح، شممنا عبق المطر على التراب، سمعنا أذان الفجر يوقظ القلوب، شعرنا بطمأنينة السكينة، وفهمنا أن كل نعمة جسدية، عقلية، أو مادية ليست مجرد شيء عادي، بل هدية من خالق حكيم.

وها نحن نغلق هذا الكتاب، لكن الدرس مستمر. كل صفحة قرأتها، كل لحظة تأملت فيها، كل ابتسامة أو دمعة شعرت بها، هي خطوة نحو فهم أعظم سر: أن الحياة بكل ما فيها هي نعمة تستحق الشكر، وأن الله أرحم بنا وأعلم بما يصلح لنا أكثر منا نحن أنفسنا.

والآن، نختتم بخاتمة القرآن التي جمع فيها الله كل ما ذكرناه عن النعم والخيرات والخلق والرحمة:

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥
وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ
أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ
لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ
وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ
شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ
وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ
يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ
١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ
لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا
طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ
فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤﴾

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٥ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ
لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا
خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ
تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ ٦٧ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ
بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ
مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ
يَتَفَكَّرُونَ ٦٩﴾

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ
أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ
يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢﴾.

﴿٧٧ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا
وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ
٧٨ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا
يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩
وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ
وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ
حِينٖ ٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ
تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ
٨١ ﴾.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ
رَّحِيمٞ ١٨﴾.

تمّ بحمد الله

في هذا اليوم، اكتملت هذه الصفحات التي كانت
يومًا فكرة في القلب وحلمًا بعيدًا.
كتبتُها بصدقٍ ومحبة، آملةً أن يجد فيها القارئ ما
يذكّره بجمال الحياة ونِعَم الله التي تحيط بنا.

فرغتُ من كتابة هذا الكتاب يوم:
٢٠/رمضان /١٤٤٧
٩/مارس/٢٠٢٦

نور الهدى

الفهرس